نظرات حول السنة
فى
القرون الثلاثة الأول

إعداد الدكتور
محمد محمود سليمان العجوز
مدرس الحديث وعلومه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

﴿الحمد لله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير *يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور[1]﴾

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل فى ضلال مبين** ﴾[٢]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه هاديا ومبشراً ونذيراً، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، قال تعالى:

﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين*يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم** ﴾[٣]

فاللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه الطيبين الطاهرين الأجلاء، الذين كانوا فيما بينهم رحماء، وعلى أعدائهم أشداء، فرضى عنهم رب الأرض والسماء، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة وزرق كريم.

أما بعد،

فإن أكمل الخلق أيمانا وأخلصهم عبودية لله، وأعظمهم خلقا وخلقا علي الإطلاق هو نبينا محمد ﷺ ، لا يماري في ذلك أحد ممن عرف بسلامة الفطرة، وحرية الفكر، ونزاهة الحكم .

---

(١) الآيتان " ١، ٢" من سورة سبأ.

(٢) الآية " ٢ " من سورة الجمعة.

(٣) الأيتان" ١٥، ١٦" من سورة المائدة.

لقد أتم الله به النعمة، واكمل به الدين، وختم به النبيين، وأرسي بدعوته دعائم العلم، وقواعد المعرفة، وتمم به مكارم الأخلاق، وأخرج به الناس من ظلمات الجهل والكفر والشرك إلي نور العلم والإيمان والتوحيد، وأنزل عليه كتابا مبينا يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذي يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالأخرة أعد لهم عذابا أليما، وأعانه علي العمل بما فيه علي وجه الكمال، فترجم لنا بخلقه الفاضل وسلوكه النبيل معالم الوحي . ومعاني التنزيل حتي بدا الناس قرآنا يمشي علي الأرض تراه الأعين كما تسمعه الأذان، فكان الصحابة رضي الله عنهم إذا أغمض على أحدهم فهم آية من آيات الله ﷻ نظر إلى أفعاله وفى أقواله صلى الله عليه وسلم فاهتدى إلى معرفة ما يريده بوضوح لا خفاء فيه، لذا لم يكونوا يسألونه عن معانى الآيات إلا قليلاً.

ولقد اعتنى الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين بجمع كل ما سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم وأبصروه، ووقفوا عليه من أقواله وأفعاله وأخباره وتقريراته، وكان بعضهم فى ذلك لبعض ظهيرا، وبلغ حرصهم فى التحرى والتقصى لسنة النبى صلى الله عليه وسلم أن يتقاسموا العمل والحضور إلى مجالسه صلى الله عليه وسلم، فكان الأخ وأخوه يتبادلان العلم والعمل، فيلتقيان فيخبر كل واحد منهما صاحبه بما رآه وسمعه من النبى ﷺ، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: " كنت أنا وجار لي من الأنصار فى بنى أمية – وهى من عوالى المدينة – نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك "(١).

فحافظ الصحابة على سنة نبيهم خير قيام وخير حفاظ، عملاً بقولهﷺ: " نضر الله أمرء سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه"(٢).

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العلم، باب التناوب فى العلم " ٢٢٣/١ – ٨٩ ".

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب العلم، باب فضل نشر العلم " ١٥٨٣/٣ – ٣٦٦٠ " والترمذى فى العلم، باب الحث على تبليغ السماع (٣٣/٥-٢٦٥٦) وحسنه.

ثم جاء التابعون من بعدهم فتلقوا السنة عن الصحابة ودونوها فى مؤلفاتهم ونقلوها إلينا مسندة بالإسناد المأمون مرتبة مهذبة فى تصانيف كثيرة لا تكاد تحصى.

ولا ريب أن علم الحديث النبوى من أشرف العلوم وأفضلها، لأن السنة هى ثانى مصادر التشريع الإسلامى بعد كتاب الله عز وجل، لا يرغب فى نشره إلا كل صادق تقى، ولا يزهد فى نصره إلا كل منافق شقى، وقد اختصت الأمة الإسلامية بالإسناد المأمون دون غيرها من سائر الأمم، لذلك روى الإمام مسلم فى مقدمة صحيحة بإسناده عن عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى قال: " الإسناد عندى من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"(٣). لذلك قد أخذ الله عز وجل على نفسه العهد والميثاق أزلاً بحفظ كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال فى الآية " ٩ " من سورة الحجر: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ وندب رسوله ﷺ إلى الأخذ منه والتبليغ عنه، وأوضح أن أحاديثه عليها مدار الشريعة وأحكامها وبيان مراد كتابه العزيز، فهى المقيدة لمطلقه، والموضحة لمشكله، والمفصلة لمجمله، والمخصصة لعامه، فقال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾(٤).

إذا : فالقرآن والسنة شىء واحد متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر بحالٍ ما، وكل منهما من عند الله عز وجل، قال تعالى:﴿ **والنجم إذا هوى* ما ضل صاحبكم وما غوى* وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحى يوحى* علمه شديد القوى***﴾** (٥) وقال الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم: " ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يقول:

(١) أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه، باب الإسناد من الدين " ٧٨/١".
(٢) سورة النحل، الآية " ٤٤ ".
(٣) سورة النجم، الآيات من (١-٥)؟

عليكم بهذا الكتاب، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه"(١).

إذاً: السنة النبوية واجبة الاتباع والانقياد لكل ما جاء فيها والتصديق بصاحبها صلى الله عليه وسلم، ومن هنا جاء فى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تحض وتحث وتأمر باتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، قال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم* قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**﴾(٣) كما بين سبحانه وتعالى أنه ليس لبشر أن يتدخل فيما شرعه الله ورسوله وحكما به، ومن خرج عن هذه الدائرة فقد باء بالضلال المبين، قال تعالى:﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا**﴾ (٤). كما حذر سبحانه وتعالى من مغبة مخالفته، ومن يخالف أمره فسيحل عليه غضب الله وسخطه الموجبان لدخول النار والعقاب الأليم، قال تعالى: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ (٥).

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب السنن، باب لزوم السنة " ١٩٧٢/٤ – ٤٦٠٤" قال الخطابى فى معالم السنن: فى الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، شىء كان حجة بنفسه. وفى قوله: " ألا يوشك رجل شبعان" كناية عن البلادة وسوء الفهم.

(٢) سورة الحشر، الآية " ٧ ".

(٣) سورة آل عمران، الأيتان " ٣١، ٣٢".

(٤) سورة الأحزاب، الآية " ٦٣ ".

(٥) سورة النور، الآية " ٦٣ ".

وقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: " كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى " قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: " من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى"(١).

وقال أيضا: " ما أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا"(٢)

وقال أيضا: " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة "(٣).

ولما كان القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة هما مصدرا التشريع الإسلامى، وكانت السنة بمنزلة القرآن فى الاتباع والانقياد، عرف السلف قيمتها فحفظوها فى صدورهم وأقاموا عليها حياتهم، وجاء الخلف من بعدهم فعرفوا قيمتها ومكانتها فساروا على درب سلفهم وأقاموها فى حياتهم، وذبوا عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، واهتموا بها، وتهافتوا على العمل بمقبولها، وتحذير الناس من شديد ضعفها، فضلاً عن الدخيل المدسوس فيها، ولا شك أن هذا شرف لا يدانيه شرف، فأهل الحديث من خير الناس، وهم من أسبق الناس دخولا إلى الجنة، قال عبد الله بن المبارك: " أثبت الناس على الصراط أصحاب الحديث "(٤) .

فاللهم أسأل أن يجعلنا مع أهل الحديث الذين هم أثبت الناس على الصراط، وأن نكون مع أهل الحق الذين يدورون مع الحق وبهم الحق يدور، وأن

(١) أخرجه البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ١٣/٢٦٣-٧٨٠".

(٢) المرجع السابق، "١٣/٢٦٤ -٧٢٨٨"، ومسلم فى الفضائل، باب "٣٧" حديث "١٣٠".

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب السنة، باب لزوم السنة "٤/١٩٧٦-٤٦٠٧".

(٤) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى " صـ ٥٨ ".

نكون مع سيد المحدثين، وإمام المرسلين، وخاتم النبين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمدٍ النبى الهادى الأمين.

فالعمل فى حقل السنة المباركة والوقوف على حقيقتها وماهيتها من أجل وأعظم وأشرف العلوم الدينية التى تعود بالنفع على صاحبها، ومن حوله فى الدنيا والآخرة، ولما شرعت بعد عون الله وتفويقه فى كتابة هذه الكلمات وتلك الأسطر التى ما هى إلا نقطة من بحر أو قبس من فيض للوقوف على مدى أهمية السنة فى حياة هذه الأمة، والوقوف على مدى عناية الصحب الكرام ومن بعدهم من جمهور سادة التابعين وتابعيهم بسنة الحبيب صلى الله عليه وسلم، فوضعوا أسس وضوابط وقوانين تحمل المرويات وأدائها، وتثبتهم وعنايتهم التامة وحرصهم الدقيق على الحفاظ عليها من أن تمتد إليها أيدى العابثين وأقلام الكائدين والكفرة والملحدين، فوضعوا علم الجرح والتعديل والكلام فى الراوى بعد الراوى بما هو فيه مما يوجب قبول مروياته أو ردها مع بيان ذلك كله، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا بهم فى مستقر رحمته تحت لواء حبيبه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، لأنه ولى ذلك والقادر عليه.

وهيا بنا عزيزى القارئ وأخى فى الله تعالى نتعرف خلال هذه النسمات على اسم الكتاب وما يحتويه من موضوعات حديثية.

- فهذا بحث متواضع أسميته ((نظرات حول السنة فى القرون الثلاثة الأول)) وجعلته من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، أما المقدمة تحدثت فيها عن السنة بين الاتباع والابتداع .

الفصل الأول
السنة فى القرن الأول الهجرى

تعريف الصحابى لغة واصطلاحا، عدالة الصحابة من الكتاب والسنة و الإجماع، علم الصحابة، سبل معرفة الصحابى، تفاضل الصحابة، أولهم إسلاما، عدد الصحابة، رواة الحديث من الصحابة، الصحابة المكثرون، وأسباب تفاوتهم من حيث القلة والكثرة فى رواية الحديث، طبقات الصحابة، وأشهر المصنفات فيهم، وآخر الصحابة موتاً.

- السنة فى عصر الصحابة.
- كتابة السنة وتدوينها فى عصر الصحابة والصحف المدونة فى عصر الصحابة.
- مدارس الحديث فى عصر الصحابة.

الفصل الثانى
السنة فى القرن الثانى الهجرى

- تمهيد.
- السنة فى عصر التابعين، وتدوينها فى عصر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وأسباب جمعه للسنة.
- نشاط حركة التدوين، المصنفون الأوائل فى الحديث.

الفصل الثالث
السنة فى القرن الثالث الهجرى

- تمهيد.
- الرحلة فى طلب الحديث، وفوائدها، وآدابها، وأهدافها.
- أنواع المؤلفات الحديثية فى القرن الثالث الهجرى، والتعريف بمسمياتها.
- وأما الخاتمة فقد تحدثنا فيها عن أهم النتائج والتوصيات التى توصلنا إليها من خلال البحث.

ونكون بهذا الطواف حول السنة نكون قد و صلنا بحمد الله وتوفيقه وكرمه إلى نهاية المطاف فى الحديث عن السنة وتاريخها وتدوينها فى القرون الثلاثة الأول.

فاللهم أسأل أن يجعل عملنا لوجهه خالصا متقبلاً، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يرزقنا العمل بما علمنا وما لم نعلم، فله الحمد أولاً وآخراً، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الدكتور
محمد محمود سليمان العجوز
مدرس الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

الفصل الأول

العناية بالسنة فى عصر الصحابة

أولاً: تعريف الصحابى لغة : مشتق من الصحبة وليس مشتقاً من قدر خاص منها، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيرا، كما أن القول: مكلم ومخاطب، وضارب مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب، وجاء على كل من وقع منه ذلك قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال.

وكذلك يقال: " صحب فلانا دهرا وسنة وشهرا ويوما وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيرة، وهذا يوجب فى حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبى (ﷺ) ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل فى اشتقاق الإسم.[١]

ثانيا: تعريف الصحابى عند المحدثين : هو كل مسلم رأى رسول الله (ﷺ)[٢].

قال الإمام البخارى فى صحيحه : من أصحاب رسول الله (ﷺ) أهل بدر ثم قال: أفضل الناس بعد هؤلاء: أصحاب رسول الله (ﷺ) القرن الذى بعث فيهم، كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه ونظر إليه.[٣]

قال ابن الصلاح: بلغنا عن أبى المظفر السمعانى المروزى أنه قال: أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابى على كل من روى عنه حديثا وكلمة، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبى (ﷺ) أعطوا كل من رآه مؤمنا به ومات على الإسلام حكم الصحابة.[١]

---

(١) ينظر: الكفاية " صـ ٥١"، فتح المغيث " ٣١/٤"، لسان العرب " ٧/٢"، السنة قبل التدوين " ٣٨٨: ٣٩١".

(٢) المقدمة لابن الصلاح " صـ ١١٨"، الباعث الحثيث "صـ٢١"، تدريب الراوى " ١٢٢/٢"، فتح المغيث "٢٩/٤".

(٣) الكفاية " صـ٥١"، تلقيح فهوم أهل الآثار " صـ ٢٧".

(١) المقدمة لابن الصلاح " صـ ١١٨ "، فتح المغيث " ٣٠/٤: ٣١".

قال الواقدى: رأيت أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله (ﷺ) وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا من صحب النبى (ﷺ) ولو ساعة من نهار.[٢]

وتعريف الواقدى يخرج بعض الصحابة الذين رأوا رسول الله (ﷺ) وهم دون الحلم ورووا عنه مثل: (ابن عباس، والحسن، والحسين، وابن الزبير)، وغيرهم، ولذلك قال العراقى: والتقييد بالبلوغ شاذ.[٣]

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابى: من لقى النبى (ﷺ)مؤمنا به ومات على الاسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو عنه، ومن غزا معه أو لم يغزو، ومن رآه رؤية ولم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى،[٤]، وهذا رأى الجمهور.

وورد عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد الصحابى إلا من أقام مع رسول الله (ﷺ) سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين.[٥]

وهذا الرأى فيه تضييق وتشديد، قال ابن الصلاح فى مقدمته[٦] : وكأن المراد بهذا –إن صح عنه – راجع إلى المحكى عن الأصوليين، ولكن فى عبارته ضيق يوجب ألا يعد من الصحابة " جرير بن عبد الله البجلى"، ومن شاركه فى فقد ظاهر ما اشترطه فيهم ممن لا نعرف خلافا فى عدة من الصحابة.

وقال العراقى: ولا يصح هذا عن ابن المسيب، ففى الإسناد إليه محمد بن عمر الواقدى " ضعيف"[١] وقال الحافظ ابن حجر بعد أن نقل هذا عن ابن المسيب:

---

(٢) تلقيح فهوم أهل الآثار " صـ ٢٧"، فتح المغيث " ٣٢/٤"، الكفاية "صـ ٥١".

(٣) فتح المغيث " ٣٢/٤ ".

(٤) السنة قبل التدوين "صـ ٣٨٩"، نقلاً عن : الإصابة " ١ / ٤"، علوم الحديث لإبن الصلاح" صـ٢٦٣"، الباعث الحثيث "صـ١٧٩".

(٥) الكفاية " صـ ٥٠: ٥١"، الباعث الحثيث، "صـ ٢٠٣"، تلقيح فهوم أهل الآثار"صـ٢٧"، تدريب الراوى "١٢٣/٢".

(٦) المقدمة فى علوم الحديث لابن الصلاح "صـ ١٥٩".

(١) تدريب الراوى " ١٢٣/٢"، السنة قبل التدوين "صـ ٣٨٩"، نقلاً عن : فتح المغيث " ٣٢/٤".

العمل على خلاف هذا إلا أنهم اتفقوا على عد جمع جم فى الصحابة لم يجتمعوا بالنبى (ﷺ) إلا فى حجة الوداع.

والرأى الراجح هو رأى جمهور المحدثين الذى أثبت الصحبة بمجرد الرؤية ولو لحظة واحدة لشرف منزلة سيدنا رسول الله (ﷺ)، فإنه إذا رآه مسلم ولو لحظة طبع قلبه على الاستقامة فى الدين، لأنه بإسلامه متهيء للقبول، فإذا قابل ذلك النور العظيم أشرق عليه فظهر أثره فى قلبه وجوارحه، وبالجملة فإن جمهور المحدثين ذهب إلى أن مجرد الرؤية كاف فى إطلاق الصحبة، لأنه فى الحقيقة لم يرو صحابى عن رسول الله (ﷺ) حديثا إلا قد ثبتت عدالته عند علماء هذا الفن بتطبيق قواعد النقد العلمى الصحيحة..[٢]

عدالــة الصحابــة

الصحابة كلهم عدول، من لابس منهم الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به، ولا يجوز بحال ما من الأحوال أن يجرحهم أحد ممن عرف بسلامة الفطرة ونزاهة الفكر. قال الخطيب ابغدادى – رحمه الله – عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم، فإن جميع ما ورد فى القرآن والسنة يقتضى القطع بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم وأنهم أفضل الناس جميعاً.[٣]

وقال الحافظ ابن كثير: إن الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم فى كتابه العزيز وبما نطقت به السنة النبوية فى المدح لهم فى جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدى رسول الله (ﷺ) رغبة فيما عند الله عز وجل من الثواب الجزيل والجزاء الجميل.[١]

---

(٢) بتصرف من نشأة علوم الحديث وتطورها " صـ ٤١ :٤٢".

(٣) الكفاية فى علم الرواية " صـ ٤٦".

(١) الباعث الحثيث " صـ ١٦٥".

وقال إمام الحرمين : والسبب فى عدم الفحص عن عدالتهم: أنهم حملة الشريعة، فلو ثبت توقف فى روايتهم لانحصرت الشريعة على عصره (ﷺ) ولما استرسلت سائر الأعصار.[٢]

قلت: وفى المسألة أقوال أخرى لا داعى لذكرها هنا، ومجملها الاختلاف فى البحث عن عدالتهم ما بين قائل بالبحث والعكس، والصواب: عدم البحث عن عدالة أحدهم إحسانا للظن بهم وحملاً لهم فى ذلك على الاجتهاد المأجور فيه كل منهم، وهذا قول الجمهور.

الأدلة على عدالة الصحابة

أولاً: القرآن الكريم :

١- قال تعالى: **{ وكذلك جعلناكم أمة و سطا }**[٣] أي : عدولاً.

٢- قال تعالى: **{ كنتم خير أمة أخرجت للناس}** [٤] قال الإمام النووى: الخطاب فيها للموجودين حينئذ، وقال النبى (ﷺ): " خير الناس قرنى.. الحديث".[٥]

٣- وقال تعالى: **{ والذين آمنوا وها جروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم}** [٦]

٤- وقال تعالى: **{ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم}** [١]

---

(٢) تدريب الراوى " ١٢٥/٢".

(٣) سورة البقرة، الآية " ١٤٣".

(٤) سورة آل عمران، الآية " ١١٠".

(٥) أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، حديث "٢١٥"، وأبو داؤد فى السنة، باب فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم " ١٩٩١/٤-٤٦٥٧".

(٦) سورة الأنفال، الآية "٧٤".

(١) سورة التوبة، الآية " ١٠٠".

٥- وقال تعالى: **{ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا}** (٢)

٦- وقال تعالى: **{ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود.. الآية}** (٣)

٧- وقال تعالى: **{ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم}**(٤)

ثانيا: السنة النبوية :

١- من ذلك ما رواه ابو سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (ﷺ) : " لا تسبوا أحداً من أصحابى، فإن أحدكم لو انفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه".(٥)

٢- ومن ذلك ما رواه عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله (ﷺ): " الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن

(٢) سورة الفتح، الآية " ١٨".

(٣) سورة الفتح، الآية " ٢٩".

(٤) سورة الحشر، الآيات " ٨ : ١٠".

(٥) أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم "لو كنت متخذا خليلاً" حديث "٣٦٧٣" ومسلم فى فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، حديث " ٢٢٢".

أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه"[١]

٣- ومن ذلك ما رواه أبو موسى الأشعرى قال: قال رسول الله (ﷺ): " النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنه أصحابى، فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون، وأصحابى أمنة لأمتى، فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون".[٢]

وقد نص الفاروق عمر بن الخطاب على عدالة الصحابة جميعا إلا من أظهر ما يسقط عدالته فقال: " إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله (ﷺ)، وإن الوحى قد انقطع وإنما آخذكم الأن بما ظهر من أعمالكم، فمن أظهر خيراً أمناه وقربناه، وليس لنا من سريرته شىء، الله يحاسبه فى سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال: إن سريرتى حسنة".[٣]

ثالثا: الإجماع :

الأمة مجمعة على تعديل الصحابة جميعا، ومن لابس منهم الفتن فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم فى الإجماع إحسانا للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة، والله أعلم. [٤]

---

(١) أخرجه الترمذى فى المناقب، باب فضل من بايع تحت الشجرة " ٥/٥٠٩-٣٨٦٢" وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبى صلى الله عليه وسلم أمنة لأصحابه، " ٤/١٩٦١-٢٥٣١/٢٠٧".

(٣) ينظر: الكفاية " صـ ٧٨".

(٤) المقدمة لابن الصلاح "صـ ١٦٠".

علـم الصحابـة

لم يكن الصحابة على درجة واحدة من العلم بسنة رسول الله (ﷺ) وأحواله وأقواله، بل كانوا متفاوتين لأن منهم المتفرغ الملازم لرسول الله (ﷺ) يخدمه فى معظم أوقاته كأنس وأبى هريرة رضى الله عنهما، ومنهم من له ماشيته فى البادية أو تجارته فى الآفاق، ومنهم البدوى والحضرى والمقيم والظاعن، لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم مختلفين فى مقدار ما حملوا عنه (ﷺ)، وفى ذلك يقول مسروق : " جالست أصحاب محمد (ﷺ) فوجدتهم كالإخاذ – أي كالغدير – فالإخاذ يروى الرجل، والإخاذ يروى الرجلين، والإخاذ يروى المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم.

قال ابن حزم : يمكننا أن نعرف علم الصحابة لأحد وجهين لا ثالث لهما، أحدهما: كثرة روايته وفتاويه، والثانى: كثرة استعمال النبى (ﷺ) له، فمن المحال الباطل أن يستعمل النبى (ﷺ) من لا علم له، وهذا أكبر شهادات على العلم وسعته.

وهذا لا يكفى لمعرفة علم الصحابى وروايته لأن بعض الصحابة الذين عرفت ملازمتهم للرسول (ﷺ) وسبقهم للإسلام بالتواتر كأبى بكر وعمر اللذين حملا علما كثيرا عنه (ﷺ)لم يظهر علمهم كله لنا وبخاصة أبى بكر لأنه لم يعش كثيرا بعد رسول الله (ﷺ) ليحتاج إليه كما احتيج إلى غيره، فامتداد عمر الصحابى إلى جانب الوجهين السابقين اللذين ذكرهما ابن حزم يكشف لنا على علمه ومروياته، كما أن ظهور أمور جديدة فى الحياة مع مر الزمن يكشف عن علم الصحابة لأنه يحتاج إلى ما عندهم تجاه تلك الأمور المستجدة، وفى هذا يقول ابن حزم: ثم وجدنا الأمر كلما طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم.[1]

(١) السنة قبل التدوين " صـ ٤٧ : ٤٠٨" نقلاً عن : رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية " صـ ٣"، الطبقات الكبرى " ١٠٤/٢/٢"، الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم " ١٣٦/٤: ١٣٨".

قال الإمام أحمد بن حنبل: أكثر الصحابة فتيا تروى عنه عبد الله بن عباس. وقال مسروق: انتهى علم الصحابة إلى ستة: عمر، وعلي، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبى الدرداء، وابن مسعود، ثم انتهى علم الستة إلى علي وابن مسعود. وقال الشعبى: كان العلم يؤخذ عن ستة من أصحاب رسول الله (ﷺ)، وكان عمر وعبد الله وزيد يشبه علم بعضهم بعضا، وكان يقتبس بعضهم من بعض، وكان علي والأشعرى وأبى يشبه علم بعضهم بعضا، وكان يقتبس بعضهم من بعض.

وقال ابن حزم : أكثر الصحابة فتوى مطلقا سبعة : عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعائشة، ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد من هؤلاء مجلد ضخم، ويليهم عشرون : أبو بكر، وعثمان، وأبو موسى، ومعاذ، وسعد، وأبو هريرة، وأنس، وعبدالله بن عمرو، وسلمان، وجابر، وأبو سعيد الخدرى، وطلحة، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وأبو بكرة، وعبادة بن الصامت، ومعاوية، وعبد الله بن الزبير، وأم سلمة، ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير. وفى الصحابة نحو من مائة وعشرين نفسا يقلون فى الفتيا جداً لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان والثلاث كأبى بن كعب، وأبى الدرداء، وأبى طلحة، والمقداد.[1]

سبل معرفة الصحابى

يعرف كون الواحد منهم صحابيا بعدة أمور:

- مها: الخبر المتواتر كما تواتر نقله عن أبى بكر وعمر وبقية العشرة.
- ومنها: الخبر المشهور أو المستفيض القاصر عن حد التواتر كضمام بن ثعلبة وعكاشة بن محصن.
- ومنها : قول آحاد الصحابة عن فلان هذا أنه من الصحابة كحممة الدوسى الذى مات بأصبهان مبطونا، فشهد له أبو موسى الأشعرى أنه سمع النبى (ﷺ) حكم له بالشهادة.

(١) بتصرف من تدريب الراوى " ١٢٦/٢".

- ومنها : أن يخبر أحاد التابعين بأنه صحابى بناءً على قبول التزكية من واحد وهو الراجح.
- ومنها: أن يخبر هو عن نفسه بأنه صحابى بعد ثبوت عدالته ومعاصرته للنبى (ﷺ).[١]

تفاضل الصحابة

لا شك أن الله عز وجل قد فضل بعض مخلوقاته على بعض، والناظر إلى سنن الله فى الكون يجد ذلك واضحا جليا، فقد فضل الله عز وجل بعض النبيين على بعض، وفضل بعض الأيام على بعض، وبعض الشهور على بعض، وبعض الساعات على بعض، وبعض الصحابة على بعض.

ولا خفاء برجحان رتبة من لازمه (ﷺ) وقاتل معه أو قتل تحت رايته على من لم يلازمه أو لم يحضر معه مشهداً وعلى من كلمه يسيرا أو ما شاه قليلا أو رآه على بعد أو فى حال الطفولية وإن كان شرف الصحبة حاصلا للجميع ومن ليس له منهم سماع منه فحديثه مرسل من حيث الرواية وهم مع ذلك معدودون فى الصحابة لما نالوه من شرف الرؤية.[٢]

قال ابن حزم: نقول بفضل المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب، ثم بعد هؤلاء أهل العقبة الأنصار الذين بايعوه بيعة العقبة، ثم أهل بدر، ثم أهل المشاهد مشهداً مشهداً وأهل كل مشهد أفضل عن المشهد الذى بعده حتى يبلغ الأمر إلى الحديبية، فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان، فإنا نقطع على غيب قلوبهم أنهم كلهم مؤمنون صالحون ما توا كلهم على الإيمان والهدى والبر، كلهم من أهل الجنة لا يلج النار منهم أحد.[٣]

---

(١) لمقدمة لابن الصلاح "صـ ١٥٩"، السنة قبل التدوين " صـ ٣٩٣"، تدريب الراوى "صـ١٢٤"، الروض الباسم " صـ ١٢٨: ١٣٠"، الباعث الحثيث "صـ ٢١٥"، فتح المغيث " ٣٤/٤".

(٢) نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر " صـ ١١٣".

(٣) شرح النخبة " صـ ٢٨".

وقال السيوطى رحمه الله تعالى: أفضلهم على الإطلاق أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما بإجماع أهل السنة، ولا مبالاة بأقوال أهل التشيع وأهل البدع، وحكى الشافعى رحمه الله تعالى إجماع الصحابة على ذلك، ويليهما فى الأفضلية عثمان ثم علي بن أبي طالب، وهذا قول الجمهور من أهل السنة وإليه ذهب مالك والشافعى وأحمد والثورى وكافة أهل الحديث والفقه وأبى موسى الأشعرى وأبى بكر الباقلانى وكثير من المتكلمين لقول ابن عمر رضى الله عنهما : كنا فى زمن النبى (ﷺ)لا نعدل بأبى بكر أحد ثم عمر ثم عثمان.(١) وحكى الخطابى عن أهل السنة من الكوفة تقديم علي على عثمان وبه قال أبو بكر بن خزيمة، وحكى عن مالك التوقف بينهما، ثم رجع عن ذلك التوقف إلى تفضيل عثمان على علي وهو الأصح إن شاء الله تعالى. وقال أبو منصور عبد القاهر البغدادى: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم تمام العشرة المشهود لهم بالجنة وهم: سعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، ثم أهل بدر وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية، قال النبى (ﷺ): " لا يلج النار أحد ممن بايع تحت الشجرة"، ويليهم جميعا فى الأفضلية ممن له مزية أهل العقبتين من الأنصار والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وهم: من صلى القبلتين فى قول سعيد ابن المسيب وطائفة منهم ابن الحنفية وابن سيرين وقتادة.(٢)

واختم ذلك كله بما رواه الترمذى فى سننه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): " أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرضهم

(١) أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة،باب مناقب عثمان " ٦٥/٧-٣٦٩٧"، البداية والنهاية "٢٠٦/٧".

(٢) ينظر: تدريب الراوى " ١٢٨/٢: ١٢٩".

زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبى بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".[1]

أول الصحابـة إسلامـا

قال ابن إسحاق: أول من آمن من النساء خديجة، ثم علي بن أبي طالب، ثم زيد بن حارثة، ثم أبو بكر فأظهر إسلامه ودعا إلى الله فأسلم بدعائه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فكان هؤلاء الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام.

وقال العراقى: ينبغى أن يقال: إن أول من آمن من الرجال ورقة بن نوفل لحديث بدء الوحى فى الصحيحين.

وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: اتفقوا على أن خديجة أول من آمن ثم علي بن أبي طالب بعدها، ثم ذكر أن الصحيح أن أبا بكر أول من أظهر إسلامه، ثم روى عن محمد ابن كعب القرظى أن عليا أخفى إسلامه من أبى طالب وأبو بكر أظهر إسلامه ولذلك شبه على الناس.

وروى الحاكم فى المستدرك من رواية مسلم الملائى قال: نبىء النبى (ﷺ) يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء. وروى أن النبى (ﷺ) صلى غداة الاثنين، وصلت خديجة يوم الاثنين من آخر النهار، وصلى علي يوم الثلاثاء.

وقيل: أولهم إسلاما أبو بكر الصديق، وقيل: علي، وقيل: زيد بن حارثة، وقيل: خديجة بنت خويلد، وهو الصواب عند جماعة المحققين، وادعى الثعلبى فيه الإجماع وأن الخلاف فيمن بعدها.

قال ابن الصلاح وغيره: الأروع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار: أبو بكر الصديق، ومن الصبيان : علي بن أبي طالب، ومن النساء: خديجة بنت خويلد، ومن الموالى: زيد بن حارثة، ومن العبيد : بلال بن رباح. [1]

---

(١) أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة، باب مناقب أبى عبيدة ابن الجراح، بلفظ : " إن لكل أمة أمينا، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح" (٧/١١٦-٣٧٤٤"، ومسلم فى فضائل الصحابة، باب فضائل أبى عبيدة ابن الجراح "١٥/٥٣١-٥٣/٢٤١٩").

عدد الصحابــة

فى حقيقة الأمر أن لا يستطيع امرؤٌ أن يحد الصحابة فى عدد معين، ومن قال ذلك فإنه من باب الأمر التقريبى الظنى وليس من باب العلم القطعى، فقد قال كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك: " وأصحاب رسول الله (ﷺ) كثير لا يجمعهم كتاب حافظ"

روى أن أبا زرعة الرازى سئل عن عدة من روى عن النبى (ﷺ) فقال: ومن يضبط هذا؟ شهد مع النبى (ﷺ) حجة الوداع أربعون ألفا، وشهد معه تبوك سبعون ألفا، وقبض رسول الله (ﷺ) عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه، فقيل له : يا أبا زرعة، هؤلاء أين كانوا؟ وأين سمعوا منه ؟ قال: أهل مكة وأهل المدينة ومن بينهما والأعراب، ومن شهد معه حجة الوداع، كل رآه وسمع منه بعرفة . وروى عن الإمام الشافعى أنه قال: روى عن النبى (ﷺ) ورأه من المسلمين نحو من ستين ألفا.

قال الإمام السيوطى فى تدريب الراوى : وهذا لا تحديد فيه، وكيف يمكن الاطلاع على تحديد ذلك مع تفرق الصحابة فى البلدان والبوادى والقرى... ومع هذا فجميع من صنف فى الصحابة لم يبلغ مجموع ما فى تصانيفهم عشرة آلاف مع كونهم يذكرون من توفى فى حياته (ﷺ) ومن عاصره أو أدركه صغيرا. (٢)

رواة الحديث من الصحابة

روى عن النبى (ﷺ) سبعة من الصحابة لكل منهم أكثر من ألف حديث، وأحد عشر صحابيا لكل منهم أكثر من مائتى حديث، وإحدى وعشرون صحابيا لكل منهم أكثر من مائة حديث، وأما أصحاب العشرات فكثيرون يقربون المائة، وأما

---

(١) تدريب الراوى " ١٢٩/٢: ١٣١"، المقدمة لابن الصلاح " صـ ١٦٢: ١٦٣".

(٢) ينظر: تدريب الراوى " ١٢٧/٢"، المقدمة " صـ ١٦١"، السنة قبل التدوين " صـ٤٥"، فتح المغيث "٣٩/٤".

من له عشرة أحاديث أو أقل من ذلك فهم فوق المائة، وهناك ثلاثمائة من الصحابة روى كل واحد منهم عن النبى (ﷺ) حديثا واحداً. (١)

الصحابة المكثرون من الرواية عن النبى ﷺ

الصحابة يختلفون فى روايتهم عن رسول الله (ﷺ)، وذلك راجع إلى كيفية أخذهم الحديث وتلقيهم ذلك عن رسول الله (ﷺ)، فلم يكونوا على درجة واحدة فى رواية الحديث الشريف، فمنهم من كان يلازمه فى سفره وحضره، منهم من كان مشغولا بتجارته وصناعته، ومنهم من قصر عمره بعد وفاة النبى (ﷺ)، من هنا كانوا متفاوتين جميعا فى رواية الحديث، وأكثر الصحابة رواية للحديث الشريف سبعة وهم:

١- أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى " ٥٩ هـ"، وعدد أحاديثة " ٥٣٧٤ " حديثاً.
٢- عبد الله بن عمر بن الخطاب " ٧٣هـ" وعدد أحاديثه " ٢٦٣٠" حديثا.
٣- أنس بن مالك " ٩٣هـ" وعدد أحاديثه " ٢٢٨٦" حديثا.
٤- عبد الله بن عباس " ٦٨هـ" وعدد أحاديثه " ١٦٦٠" حديثا.
٥- جابر بن عبد الله الأنصارى " ٧٨هـ" وعدد أحاديثه " ١٥٤٠" حديثا.
٦- أبو سعيد الخدرى "٧٤هـ" وعدد أحاديثه " ١١٧٠" حديثا.
٧- عائشة بنت أبى بكر الصديق " ٥٨هـ" وعدد أحاديثها "٢٢١٠" حديثاً. (٢)

(١) نشأة علوم الحديث وتطورها " صـ ٤٤". السنة قبل التدوين "صـ ٤٠٩"، نقلاً عن البارع الفصيح فى شرح الجامع الصحيح "صـ ٩ : ب ١٣ : ب" نقلاً عن مسند بقى بن مخلد.

(٢) تدريب الراوى " ١٢٥/٢". السنة قبل التدوين " ٤٠٩: ٤٨٠". نشأة علوم الحديث وتطورها " صـ ٤٥".

أسباب تفاوت الصحابة فى رواية الحديث عن النبى ﷺ

كما أشرنا سابقا إلى أن الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين لم يكونوا على درجة واحدة فى الأخذ والتلقى ورواية الحديث عن رسول الله (ﷺ)، فمنهم المكثر ومنهم المقل فى الرواية، وذلك يرجع إلى عدة أسباب نذكرها فيما يلى :

١- الاشتغال بالخلافة والحروب، فقد عاق ذلك كثيراً من الصحابة عن تحمل الحديث وروايته كما فى الخلفاء الأربعة، وعلى العكس من ذلك مكن التفرغ من هذه الشواغل لكثير من الصحابة كثرة التحمل والأداء.

٢- طول المصاحبة والملازمة للنبى (ﷺ) سفراً وحضرا كان سببا فى الإكثار من تحمل الحديث وروايته بخلاف من تأخر إسلامه أو قلت مجالسته له.

٣- طول الأجل بعد وفاة النبى (ﷺ) كان مدعاة للإكثار من الرواية بخلاف من مات فى عهد النبى (ﷺ) أو مات بعده بقليل كأبى بكر الصديق رضى الله عنه، والسبب فى قلة رواية ابى بكر الصديق رضى الله عنه مع تقدمه وسبقه وملازمته للنبى (ﷺ) أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه وتحصله وحفظه، وجمله مروياته مائة حديث واثنتان وأربعون حديثا.(١)

٤- تجدد الحوادث واحتياج الناس إلى بيان أحكامها كان سببا أيضا رئيسيا فى كثرة الأداء والرواية حيث تلهف الصحابة إلى حكم الشرع فيما جد، وبادر الصحابة إلى إظهار ما عندهم من السنن فتلقاها الناس عنهم.

٥- كثرة الاتباع وقلة نشاطهم وخمولهم كان سببا قويا فى كثرة الرواية وقلتها عن الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين.

٦- قوة الحافظة وتقييد الحديث بالكتابة كانا سببين من أسباب قلة الرواية وكثرتها.

٧- التفرغ للعبادة وإيثارها على الرواية لوجود من يقوم بالتبليغ.

---

(١) تدريب الراوى " ١٢٦/٢".

٨- التحرج من الرواية مخالفة الوقوع فى الكذب وإن لم يتعمده خاصة من كان لا يجوز الرواية بالمعنى منهم ما دام غيره سيقوم بمهمة التبليغ.

٩- أن يكون الطريق إلى الصحابى ضعيفا فيترك الحديث من أجل ضعف سنده. (١)

طبقات الصحابة

اختلف العلماء فى عدد طبقات الصحابة باعتبار السبق إلى الإسلام أو الهجرة أو شهود المشاهد الفاضلة، فجعلهم ابن سعد خمس طبقات، وجعلهم الحاكم اثنتى عشرة طبقة وهو المشهور :

١- قوم تقدم إسلامهم بمكة كالخلفاء الأربعة رضى الله عنهم.

٢- الصحابة الذين أسلموا قبل تشاور أهل مكة فى دار الندوة.

٣- مهاجرة الحبشة.

٤- أصحاب العقبة الأولى.

٥- أصحاب العقبة الثانية وأكثرهم من الأنصار.

٦- أول المهاجرين الذين وصلوا إلى النبى (ﷺ) بقباء قبل أن يدخلوا المدينة.

٧- أهل بدر.

٨- الصحابة الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

٩- أهل بيعة الرضوان فى الحديبية.

١٠- الصحابة الذين هاجروا بين الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

١١- الصحابة الذين أسلموا فى فتح مكة.

١٢- صبيان وأطفال رأوه (ﷺ) يوم فتح مكة وفى حجة الوداع وغيرها.(١)

---

(١) كتاب سبيل المتقين فى مناهج المحدثين للدكتور/ ممدوح محمد أحمد أحمد، نقلاً عن الحديث والمحدثون "صـ١٤٧: ١٤٨".

أشهر الطبقات فى علم الطبقات

١- كتاب " الطبقات " لمحمد بن عمر الواقدى " ٢٠٧هـ" ذكره ابن النديم فى الفهرست.

٢- كتاب " الطبقات الكبرى " لمحمد بن سعد " ٢٣٠هـ" وهو مطبوع.

٣- كتاب " طبقات الرواة " لخليفة بن خياط " ٢٤٠هـ" مطبوع.

٤- كتاب " الطبقات " للإمام مسلم بن الحجاج " ٢٦١هـ.

٥- كتاب "الطبقات" لأبى بكر أحمد بن عبد الله البرقى " ٢٧٠هـ".

٦- كتاب " طبقات المحدثين " لمسلمة بن القاسم الأندلسى " ٣٥٣هـ".

٧- كتاب " طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها" لأبى الشيخ بن حيان "٣٦٩هـ" مطبوع.

٨- كتاب " طبقات المحدثين " لأبى القاسم بن منده " ٤٧٠هـ".

وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد كتاب عظيم كثير الفوائد، وهو ثقة فى نفسه، لكنه كثير الرواية عن الضعفاء منهم شيخه محمد بن عمر الواقدى فإنه لا ينسبه بل يقتصر على ذكر اسمه واسم أبيه، ويكثر الأخذ عن شيخه هشام بن محمد بن السائب الكلبى. (١)

أشهر المصنفات فى الصحابة

١- كتاب " معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان " للإمام علي بن المدينى " ٢٣٤هـ".

٢- كتاب " تاريخ الصحابة" للإمام محمد بن إسماعيل البخارى " ٢٥٦هـ".

٣- كتاب " الصحابة" لابن حبان " ٣٥٤هـ" وهو مختصر فى مجلد.

---

(١) ينظر: تدريب الراوى " ١٢٧/٢"، السنة قبل التدوين " صـ ٣٩١: ٣٩٢"، معرفة علوم الحديث "صـ ٢٢: ٢٤"، الباعث الحثيث "صـ ٢٧"، فتح المغيث "٤/ ٤٠: ٤١".

(١) من مباحث فى علوم الحديث وتطورها للدكتور/ مناع بن خليل القطان"،" صـ ٦٣: ٦٤".

٤- كتاب " معرفة الصحابة" لأبى نعيم الأصبهانى " ٤٣٠هـ.

٥- كتاب " الاستيعاب فى معرفة الأصحاب" لابن عبد البر "٤٦٣هـ" قال الإمام ابن الصلاح: وهو من أحسنها وأكثرها فوائد لولا ما شأنه بذكر ما شجر بين الصحابة وحكايته عن الإخباريين، قال الإمام السيوطى: والغالب عليهم الإكثار والتخليط فيما يروونه [٢]، وهذا الكتاب يضم بين دفتيه " ٤٢٢٥" ترجمة لصحابة رسول الله (ﷺ).

٦- أسد الغابة " لأبى الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزرى " ٦٣٠هـ" وفيه "٧٥٥٤" ترجمة، جمع فيه الشيخ كتبا كثيرة وهى : كتاب ابن منده، وأبى موسى، وأبى نعيم، وابن عبد البر، وزاد من غيرها أسماء فى هذا وضبط وحقق أشياء حسنة على ما فيه من التكرار بحسب الاختلاف فى الاسم أو الكنية [٣] .

٧- كتاب " تجريد أسماء الصحابة " للإمام الذهبى " ٧٤٨هـ".

٨- كتاب " الإصابة فى تمييز الصحابة" لشيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلانى "٨٥٢هـ"، وهو أكثرها جمعا وتحريرا، و مجموع ما فيه من تراجم للصحابة "١٢٢٧٩" بالمكرر.

آخـر الصحابـة وفـاة

١- آخر الصحابة موتا على الاطلاق هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثى، قيل: مات سنة مائة، وقيل سنة اثنتين، أو سبع، وقيل سنة عشر ومائة، وهذا الأخير صححه الذهبى، قال وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال: كنت بمكة سنة عشر ومائة، فرأيت جنازة فسألت عنها فقالوا : هذا أبو الطفيل.

٢- وآخرهم موتا بالمدينة سهل بن سعد الساعدى، سنة " ٨٨هـ – أو – ٩١ هـ" وقد جاوز المائة.

---

(٢) تدريب الراوى " ١٢١/٢".

(٣) المرجع السابق " ١٢١/٢"، مباحث فى علوم الحديث " صـ ٦٢: ٦٣".

٣- وآخرهم موتا بالبصرة أنس بن مالك، سنة " ٩٣هـ".

٤- وآخرهم موتا بالكوفة عبد الله بن أبي أوفى، سنة ثلاث أو ست أو سبع أو ثمان وثمانين.

٥- و آخرهم موتا بالشام عبد الله بن بسر المازنى، سنة ثمان وثمانين أو ست وتسعين.

٦- وآخرهم موتا بالجزيرة العرس بن عميرة الكندى.

٧- وآخرهم موتا بفلسطين أبو أبى عبد الله بن حرام ربيب عبادة بن الصامت.

٨- وآخرهم موتا بمصر عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى، توفى سنة ست أو سبع أو ثمان وثمانين.

٩- وآخرهم موتا باليمامة الهرماس بن زياد الباهلى سنة " ١٠٢هـ".

١٠- وآخرهم موتا بأفريقية أو ببرقة رويفع بن ثابت الأنصارى سنة ثلاث أوست وستين.

١١- وآخرهم موتا بخراسان بريدة بن الحصيب الأسلمى، سنة "٦٣هـ".

١٢- وآخرهم موتا بسجستان العداء بن خالد بن هوذة العامرى، سنة " ١٠٠ هـ".

١٣- وآخرهم موتا بأصبهان النابغة الجعدى سنة " ٥٠ هـ".

١٤- وآخرهم موتا بسمرقند الفضل بن العباس.

١٥- وآخرهم موتا بالطائف عبد الله بن عباس، سنة " ٦٨ هـ".[١]

السنة فى عصر الصحابة

رضوان الله عنهم أجمعين

(١) تدريب الراوى " ١٣١/٢ "، المقدمة فى علوم الحديث لابن الصلاح " صـ ١٦٣: ١٦٥"

قبل الحديث عن السنة فى عصر الصحابة نتحدث أولاً عن عدة نقاط نوجزها فيما يلى:

١- الرسول (ﷺ) يضع القواعد الأساسية للتحديث عنه.

٢- تعظيم السلف الصالح للسنة النبوية.

٣- أصول الرواية التى اهتم الصحابة أنفسهم بها.

٤- انتشار الحديث فى عهد الرسول (ﷺ)، مستعينا بكتاب السنة قبل التدوين "صـ٦٨: ٧٤". ثم بعد ذلك نعرض للحديث عن كتابة السنة وتدوينها فى عصر الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين.

أولا: الرسول ﷺيضع قواعد التحديث عنه :

الله عز وجل ابتعث حبيبه ومصطفاه محمداً (ﷺ) إلى عالمى الثقلين الإنس والجن، وختم به الأديان، وجعل رسالته متممه لكل الرسالات، وجعل حبيبه محمداً رحمة للعالمين، وآتاه جوامع الكلم، وأخذ سبحانه وتعالى على نفسه العهد والميثاق منذ الأزل بحفظ هذا الدين، فلا تستطيع يد ولا عقل ولا قلب ولا قلم أن يصل إلى هذا الدين بسوء، وإن الله عز وجل ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، ويبعث على رأس كل مائة عام من يجدد للأمة أمر دينها، أليس كل هذا من عوامل حفظ هذا الدين، ومن قبل فإن خير وخاتم الأنبياء والمرسلين يسبق كل هذا ويضع أصولاً للرواية عنه نوجزها فيما يلى:

أولاً: التحذير الشديد من الكذب عليه والوعيد على ذلك وبيان حرمته، ويبين ذلك النبى (ﷺ) أن الكذب عليه ليس كالكذب على أي أحد، على اعتبار أن نطقه كله تشريع فهو المبلغ عن الله تعالى أمره ومراده ووحيه، فإذا تطرق الكذب عليه (ﷺ) كان ذلك طعنا فى الدين، ولذلك حفظ الله عز وجل هذا الدين بجهود العلماء والمحدثين الذين وضعوا أصول علم الجرح والتعديل لحماية الرواية وبيان صحيحها من سقيمها، ولذلك قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: " الإسناد عندى من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[١]، وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى حديث أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[٢] وقال أيضا: " " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم " [٣]، ويقول سعد بن إبراهيم: " لا يحدث عن رسول الله (ﷺ) إلا الثقات". [١]

(١) ينظر: مقدمة صحيح مسلم، الباب الخامس (بيان أن الإسناد من الدين) " ٧٨/١".
(٢) المصدر السابق " ٧٦/١".
(٣) المصدر السابق " ٧٦/١".
(١) المصدر السابق " ٧٨/١".

ونكر فيما يلى الأحاديث التى تبين حرمة الكذب على رسول الله (ﷺ) :

١- ما رواه المغيرة بن شعبة مرفوعا: " من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين". (٢)

٢- ما رواه علي بن أبى طالب مرفوعا: " لا تكذبوا علي فإنه من يكذب علي يلج النار "(٣)

٣- ما رواه أنس بن مالك: " من تعمد علي كذبا فليتبؤا مقعده من النار "(٤)

٤- ما رواه أبو هريرة : " من كذب عليّ متعمداً فليتبؤا مقعده من النار "(٥)

٥- ما رواه المغيرة بن شعبة: " إن كذبا على ليس ككذب علي أحد"(٦)

٦- ما رواه أبو هريرة: " كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع"(٧)

ثانيا: حث النبى (ﷺ) على حفظ الحديث والتبليغ عنه، فالمتتبع لنصوص السنة النبوية يجد الآثار الصحيحة التى تدل دلالة قطعية على حث النبى (ﷺ) على تبليغ الدين المتمثل فى القرآن والسنة النبوية المطهرة، فنجده (ﷺ) يقول فى الحديث الصحيح الذى رواه عنه الصحابى الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص: " بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي فليتبؤا مقعده من النار ".(٨)

وكان النبى (ﷺ)إذا حدث حديثا أو قام فى الناس خطيبا نجده يوصى الحاضرين على تبليغ الغائبين ما حدثهم به (ﷺ)، وكثيراً ما كان يختم كلامه بقوله: " ألا ليبلغ

---

(٢) المصدر السابق " ١/٦٠".

(٣) المصدر السابق " ١/٦٢".

(٤) المصدر السابق " ١/٦٣".

(٥) المصدر السابق " ١/٦٤".

(٦) المصدر السابق " ٦٦".

(٧) المصدر السابق " ١/٦٧".

(٨) أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل " ٦/٥٧٢-٣٤٦١".

الشاهد منكم الغائب "[١] وتلك كانت آخر وصاياه فى حجة الوداع أيضا، وآخر وصاياه حين رقى المنبر قبل أن تفيض روحه إلى بارئها ثم يعقب ذلك كله بقوله: " اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد " [٢]

وكثيرا ما كان النبى (ﷺ) يرغب أصحابه فى التبليغ عنه بدعوته لهم بنضارة الوجه بقوله فى الحديث الذى رواه عنه زيد بن ثابت مرفوعا: " نضر الله أمرءً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه". [٣]

وها هى وصيته (ﷺ) للوفود التى وفدت عليه بتعليم أهليهم إذا رجعوا إليهم، فقد قدم عليه وفد بنى ليث بن بكر وعلى رأسهم مالك بن الحويرث فأقاموا عنده عشرين ليلة، ولما رأى شوقهم إلى أهليهم قال لهم: " ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم " .[٤]

وهذا وفد عبد القيس حيث أتوا النبى (ﷺ) وقالوا له: أخبرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع ثم قال لهم: "احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم".[٥]

ثالثا: التحديث عنه (ﷺ) وتناقل الحديث عن طريق السماع، قال (ﷺ): " تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم" [٦]، وعن أبى هارون العبدى قال: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدرى قال: مرحبا بوصية رسول الله (ﷺ). قلنا: وما وصية رسول الله (ﷺ) ؟ قال: قال لنا

---

(١) أخرجه البخارى، فى العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب" ١/٢٤٠-١٠٥".

(٢) أخرجه مسلم، فى الصلاة، باب النهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود " ٤/١٤٧-٤٧٩/٢٠٨".

(٣) أخرجه أبو داؤد فى العلم، باب فضل نشر العلم، " ٣/١٥٨٣-٣٦٦٠" والترمذى فى العلم، باب الحث على تبليغ العلم"٢٦٥٦"

(٤) اخرجه البخارى فى الأذان " ٣/٣١٣ ".

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب أخبار الأحاد، باب رقم "٥"، "١٣/٢٥٦-٧٢٦٦".

(٦) أخرجه أبو داود فى العلم، باب فضل نشر العلم، "٣/١٥٨٣-٣٦٥٩"، والحاكم "١/٩٥" وصححه على شرطهما.

رسول الله (ﷺ): " إنه سيأتى بعدى قوم يسألونكم الحديث عنى فإذا جاؤكم فالطفوا بهم وحدثوهم"[١] وقال: " اللهم ارحم خلفائى" قيل : ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدى يروون من أحاديثى ويعلمونها الناس ".[٢]

وقال: " حدثوا عنى بما تستمعون ولا تقولوا إلا حقا، ومن كذب علي بنى له بيت فى جهنم يرتع فيه".[٣]

رابعا: الإخبار بصيانة هذا العلم وحفظه وعدالة ناقليه، فقال (ﷺ): " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[٤]

ثانيا: تعظيم السلف الصالح للسنة النبوية

لا نجد فى هذه العصور أحدا يعظم سنة الحبيب محمد (ﷺ) كتعظيم أصحاب محمد لسنة محمد (ﷺ)، لاسيما بعد القرون الثلاثة التى نالت شرف دعوة النبى (ﷺ) لأصحابها بالخيرية فى قوله الشريف: " خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب " [٥]، وفيما يلى سنذكر بعض أقوال السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم التى تدل على حبهم واتباعهم وتعظيمهم لسنة الصادق المصدوق (ﷺ).

: عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: " لست تاركا شيئا كان رسول الله (ﷺ) يعمل به إلا عملت به، فإنى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ".[٦]

: وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: " إنه سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله ".[١]

---

(١) شرف أصحاب الحديث "صـ ٧٢".

(٢) قواعد التحديث " صـ ٤٧".

(٣) المصدر السابق " صـ ٤٩".

(٤) المصدر السابق " صـ٤٧".

(٥) أخرجه الترمذى فى الشهادات، باب ما جاء فى شهادة الزور، " ٢٣٠٢، ٢٣٠٣" والخطيب فى تاريخ بغداد " ٥٣/٢".

(٦) أخرجه البخارى فى فرض الخمس، الباب الأول " ١٩٧/٦ – ٣٠٩٣ ".

: وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما لما أرسله علي بن أبى طالب إلى الخوراج قال: يا أمير المؤمنين أنا أعلم بكتاب الله منهم، فى بيوتنا نزل . قال: صدقت، ولكن القرآن حمال، ذو وجوه نقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنن، فإنهم لن يجدوا عنها محيصا، فخرج إليهم فحاجهم بالسنن فلم يبق بأيديهم حجة". (٢)

: ويقول علي بن أبي طالب مثل ما روى عن عمر بن الخطاب: سيأتى قوم يجادلونكم فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله ".(٣)

: وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة ". (٤)

: وعنه أنه قال أيضا: إنا نقتدى ولا نبتدى، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر " . (٥)

: وعنه أنه قال أيضا: عليكم بالاستقامة واتباع الأمراء والأثر، وإياكم والتبدع".(٦)

: وقال الإمام مالك بن أنس: السنة سفينة نوح، من ركبها فقد نجا، ومن تخلف عنها غرق " (٧)، وكان يقول أيضا: إن حقا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعا لأثر من مضى قبله (١)، وكان ينشد قائلاً:

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الأمور المحدثات البدائع

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة " ٦٢/١-١١٩".

(٢) ذكره السيوطى فى " مفتاح الجنة صـ ٣٤" نقلا عن طبقات ابن سعد.

(٣) أخرجه اللالكائى فى أصول الاعتقاد " ١٢٣/١".

(٤) أخرجه المروزى فى " السنة صـ ٢٨ – أثر رقم ٧٨ .

(٥) مفتاح الجنة " صـ ٣٨" نقلا عن " اللالكائى فى " السنة " .

(٦) أخرجه المروزى فى السنة " صـ ٢٩ – رقم ٨٣ ".

(٧) مفتاح الجنة " صـ ٤٥ ".

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم " ٣٢٤/٦ ".

: وقال الإمام الشافعى: ليس فى سنة رسول الله (ﷺ) إلا اتباعها [٢]. وكان يقول أيضا: كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الحد، وما سواه فهو هذيان[٣].

: وقال الإمام أحمد بن حنبل: رأى الأوزاعى، ورأى مالك، ورأى أبى حنيفة، كله رأى وهو عندى سواء، وإنما الحجة فى الآثار [٤].

: وقال الإمام أبو حنيفة : عليكم بالأثر وطريقة السلف [٥]، وما جاء عن الرسول (ﷺ) فعلى العين والرأس،وما جاء عن الصحابة اخترنا،وما كان عن غير ذلك فهم رجال ونحن رجال[٦]

وقال أيضا [٧] : ليس لأحد أن يقول برأيه مع كتاب الله تعالى، ولا مع سنة رسول الله (ﷺ) ولا مع ما أجمع عليه الصحابة، وأما ما اختلفوا فيه فنتخير من أقاويلهم أقربه إلى كتاب الله أو إلى السنة ونجتهد، وما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأى لمن عرف الاختلاف وقاس، وعلى هذا كانوا [٨].

ثالثا: أصول الرواية عن الصحابة رضوان الله عنهم

الصحابة –رضوان الله تعالى عنهم أجمعين – هم حملة هذا الدين فى حياة النبى (ﷺ) وبعد مماته، بذلوا فى سبيل نشره كل غال وثمين، دفعوا أرواحهم وأبناءهم وضحوا بأموالهم وجاهدوا فى سبيل الله لإعلاء كلمة الحق " **لا إله إلا الله محمد رسول الله** " ولا يتحقق ذلك إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه، واتباع طريقها عملاً بقوله تعالى: **{ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله }** [١] وعملاً بقوله تعالى: **{ ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب**

---

(٢) إحياء السنة لعثمان بن فودى " صـ ٦١".

(٣) سير أعلام النبلاء " ٢٠/١٠".

(٤) جامع بيان العلم وفضله " ١٨٢/٢".

(٥) إحياء السنة لعثمان بن فودى " صـ ٦١".

(٦) سير أعلام النبلاء " ٤٠١/٦".

(٧) الخيرات الحسان " صـ ١٠٣ : ١٠٤ ".

(٨) ما سبق نقلناه بتصرف من المدخل إلى السنة " ٢٣٦ : ٢٤٣ ".

(١) سورة الأنعام، الآية " ١٥٣".

السعير } [٢] وبقوله تعالى: **{وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب}** [٣] وبقوله تعالى أيضا: **{فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم}** [٤]. فمن هذه النصوص وغيرها هل يقف الصحابة مكتوفى الأيدى أمام سنة حبيبهم التى جاء الأمر بالتمسك بها فى قوله (ﷺ): " عضوا عليها بالنواجذ " [٥]، وقد مر الصحب الكرام بمرحلتين فى حياتهم إزاء السنة النبوية، الأولى: فى حياة النبى (ﷺ)، بمعنى أنهم إذا اختلفوا فى أي من أمور الدين أو الدنيا كان مرجعهم فى ذلك هو الصادق المعصوم فيشفى صدورهم بما يتنزل عليه من الوحى. الثانية: بعد مماته (ﷺ) بمعنى أن الوحى قد انقطع، وختم بالحبيب النبيين، وكمل الدين، إذاً: مرجعهم فى ذلك كتاب الله تعالى وسنة حبيبه محمد (ﷺ)، وفى كل يعملون بقوله تعالى: **{ وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله}** [٦] وبقوله: **{فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا}** [٧].

من هذا المنطلق وضع الصحب الكرام عدة أسس ومناهج للتحديث عن النبى (ﷺ) نوجزها فيما يلى:

١- التزام رواية حديث رسول الله (ﷺ) باللفظ الذى سمعوه من النبى (ﷺ) بحروفه ومبانيه، خوفا من التقديم و التأخير، أو الزيادة والنقصان، وخوفا من الكذب على رسول الله (ﷺ)، فاحتاطوا فى رواية الحديث عنه عليه الصلاة والسلام، واتبعوا كل سبيل يحفظ على الحديث أنواره، ففى ذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: " من سمع حديثا فحدث به

---

(٢) سورة سبأ، الآية " ١٢ ".

(٣) سورة الحشر، الآية " ٧ " .

(٤) سورة النور، الآية " ٦٣ ".

(٥) رواه أبو داود فى السنة، باب لزوم السنة " ٤/١٩٧٤-٤٦٠٧"، والترمذى فى العلم، باب الأخذ بالسنة " ٤/٤٦٩-٢٦٧٦" وقال حسن صحيح.

(٦) سورة الشورى، الآية "١٠".

(٧) سورة النساء، الآية " ٥٩ ".

كما سمع فقد سلم " [١]، ومن قبله قال الذى لا ينطق عن الهوى: " نضر الله امرءً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه " [٢] وفى رواية أخرى: " نضر الله امرءً سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه" [٣]. وها هو عبد الله ابن عمر أكثر الصحابة اتباعا لرسول الله (ﷺ) وكان شديد التأسى به، وكان كثير العلم ومن فقهاء الصحابة رضوان الله عنهم، حتى إنه كان يسير فى كل طريق سار فيه النبى(ﷺ)، ويتحرى موضع سجوده فيسجد فيه، وكان يركب ناقته ويسير بها فى طرق المدينة أملاً أن تطأ قدماه موضع قدم النبى (ﷺ)، وكان يقول فى الحج: هنا وقف سول الله، هنا سجد رسول الله، هنا صلى رسول الله، هنا سعى رسول الله، ومع ذلك كله كان لا يكتم علما وهبه الله إياه، وكان حريصا على البعد عن الفتوى ويقول: " أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسورا فى جهنم وتقولون: بهذا أفتانا ابن عمر" ومع ذلك كله كان ابن عمر رضى الله عنهما إذا سمع الحديث لم يزد فيه ولم ينقص منه ولم يجاوزه ولم يقصر عنه. وفى ذلك يقول سليمان بن مهران الأعمش: كان هذا العلم عند أقوام كان أحدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واواً أو دالا " [٤].

٢- حبهم لرسول الله (ﷺ) وتعظيمهم لحديثه الشريف وإقلالهم من روايتهم له، فالصحب الكرام يعلمون أن السنة النبوية هى المصدر الأول للتشريع بعد القرآن الكريم، وكانوا يخشون أن يتطرق الوهم أو النسيان خاصة إذا تقدمت بأحدهم السن فأمسك بعضهم عن الإكثار من الرواية والتحديث بينما النصف الآخر الذى وهب قوة الذاكرة والحافظة ومن

(١) ينظر: الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى، " صـ ١٧٢ ".

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب العلم، باب فضل نشر العلم "٣/١٥٨٣-٣٦٦٠" والترمذى فى العلم، باب الحث على تبليغ السماع" ٤/٤٥٨-٢٦٥٦" وحسنه.

(٣) أخرجه الترمذى فى كتاب العلم، باب ما جاء فى الحث على تبليغ السماع،"٤/٤٥٨-٢٦٥٧"، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) ينظر: الكفاية للخطيب البغدادى، "صـ ١٧٨".

كان له كتاب لا يمتنع عن التحديث خشية كتمان العلم. فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان شديد الإنكار على من أكثر الرواية أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد عليه، وكان يأمرهم بأن يقلوا من الرواية،خشية أن يدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابى، وممن كان يقل الرواية أبو بكر والزبير وأبو عبيدة والعباس بن عبد المطلب، وكان بعضهم لا يروى شيئا أصلاً وهو من العشرة المبشرين كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.(١)

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحمل الناس على التثبت مما يسمعون، والتروى فيما يؤدون، فكان له الفضل الكبير فى صيانة الحديث من الشوائب والدخل، وقد طبق ذلك الصحابة أيضا، فيقول ابن مسعود: ليس العلم بكثرة الحديث، ولكن العلم الخشية(٢).

ويصور لنا أبو هريرة محافظة الصحابة على السنة فى عهد عمر بن الخطاب بإجابته عن سؤال طرحه عليه أبو سلمة: أكنت تحدث فى زمان عمر هكذا ؟ فقال: لو كنت أحدث فى زمان عمر مثل ما أحدثكم به لضربنى بمخفقته(٣).

وقد كان تشدد عمر بن الخطاب والصحابة معه للمحافظة على القرآن الكريم بجانب السنة، فلقد خشى أن يشتغل الناس بالرواية عن القرآن الذى هو دستور الإسلام، فأراد أن يحفظ المسلمون القرآن جيداً ثم يعتنوا بالحديث الشريف الذى لم يكن قد دون كله فى عهد الرسول (ﷺ) كالقرآن.

وها هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ اتبع منهج الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ومنع الإكثار من الرواية، قال محمود بن لبيد: سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول: لا يحل لأحد يروى حديثا عن رسول الله (ﷺ) لم أسمع به فى عهد أبى بكر وعمر، فإنه لم يمنعنا أن نحدث عن رسول الله (ﷺ) أن لا

(١) ينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينورى "صـ ٤٨ : ٤٩ ".

(٢) ينظر: السنة قبل التدوين (صـ ٩٦) نقلاً عن كتاب المؤهل فى الرد إلى الأمر الأول لأبى شامة "صـ٦".

(٣) تذكرة الحفاظ " ٧/١، جامع بيان العلم وفضله "١٢١/٢".

أكون أوعى لأصحابه عنه، ألا إنى سمعته يقول: " من قال علي ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار "[١] .

وها هو الخليفة الرابع علي بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه كان يقول: إذا حدثتكم عن رسول الله (ﷺ) حديثا فلأن آخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه[٢].

وقد نهج الصحابة كافة نهج الخلفاء الراشدين واتبعوهم فى الإقلال من الرواية عملاً بقوله (ﷺ) " عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ... الحديث " [٣].

فهذا أنس بن مالك يقول: لولا أنى أخشى أن أخطىء لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول الله (ﷺ) [٤]. ويقول الشعبى: جالست ابن عمر سنة فما سمعته يحدث عن رسول الله (ﷺ) شيئا[٥]. وقال مجاهد: صحبت ابن عمر من مكة إلى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله (ﷺ) إلا هذا الحديث: مثل المؤمن مثل النخلة[٦]. وقيل لزيد بن أرقم: حدثنا عن رسول الله (ﷺ) . قال: كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله (ﷺ) شديد[٧].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل دفعهم حبهم لحبيبهم الصادق المعصوم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم تعظيمهم لسنة نبيهم محمد (ﷺ) عند التحديث بها، فنرى من تأخذه الرعدة، ويقشعر جلده، ويتغير لونه ورعا واحتراما وتعظيما لحديث رسول الله (ﷺ)، من ذلك: ما رواه الدارمى فى سننه بإسناده إلى عمرو بن ميمون قال: كنت لا تفوتنى عشية خمس إلا ’آتى فيها عبد الله بن مسعود،

(١) قبول الأخبار ومعرفة الرجال لأبى القاسم البلخى " صـ ٢٩"، و الحديث أخرجه أحمد بن حنبل "٣٦٣/١".
(٢) أخرجه أحمد بن حنبل فى المسند " ٤٥/٢ ".
(٣) أخرجه الترمذى فى العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع بنحوه " ٢٦٧٦" وابن ماجة فى المقدمة " ٤٢، ٤٤".
(٤) أخرجه الدارمى فى سننه " ٧٧/١ ".
(٥) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب من هاب الفتيا مخافة السقط، " ٩٦/١-٢٧٣".
(٦) أخرجه البخارى فى العلم، باب قول المحدث: حدثنا وأخبرنا " حديث ٦١"، ومسلم فى المنافقين، باب مثل المؤمن مثل النخلة " ٢٨١١".
(٧) أخرجه ابن ماجة فى المقدمة، باب التوقى فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ٣٩/١-٢٥".

فما سمعته يقول لشىء قط: قال رسول الله (ﷺ)، حتى كانت ذات عشية فقال: قال رسول الله (ﷺ)، قال: فاغرورقتا عيناه، وانتفخت أوداجه فأنا رأيته محلولة إزراره، وقال: أو مثله، أو نحوه، أو شبيه به[1].

٣- تثبت الصحابة من المرويات عملاً بقوله تعالى: **{ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين نادمن }**[2] وبقوله: **{ وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهاده لله }**[3]

ولعلمهم بأن الكذب عليه (ﷺ) ليس كالكذب على غيره، وأن من كذب عليه متعمداً فليتبؤا مقعده من النار [4]، وقال (ﷺ): " من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين " [5]. وقد سبق أن حذرهم الصادق المعصوم من اتباع الرواية عن الضعفاء فى زمن الفتن، " يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا أباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم "[1]، وفيما يلى سنذكر تثبت بعض الصحابة عند قبول الأخبار إنشاء الله تعالى.

١- تثبت أبى بكر الصديق رضى الله عنه، قال الحافظ الذهبى: كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول من احتاط فى قبول الأخبار، فطلب الشاهد على ذلك كما حدث فى ميراث الجدة التى جاءت إلى أبى بكر

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب من هاب الفتية مخافة السقط " ١/٩٥-٢٧٠" وجامع بيان العلم " ١/٧٨"، والحاكم "١/١١١".

(٢) سورة الحجرات، الآية "٦".

(٣) سورة الطلاق، الآية " ٢".

(٤) أخرجه البخارى فى العلم، باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم" ١/٢٤١-١٠٦".

(٥) أخرجه مسلم فى المقدمة " ١/٦٢".

(١) أخرجه مسلم فى المقدمة " ١/٧١-٧/٧" باب النهى عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط فى تحملها.

تسأله ميراثها، روى ابن شهاب عن قبيصة ابن ذؤيب، أن الجدة جاءت إلى أبى بكر تلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك فى كتاب الله شيئا وما علمت أن رسول الله (ﷺ) ذكر لك شيئا، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يعطيها السدس. فقال له: هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضى الله عنه (٢).

وروى الحافظ الذهبى من مراسيل ابن مليكة: " أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله (ﷺ) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن سول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه" قال الذهبى: مراد الصديق التثبت فى قبول الأخبار والتحرى لا سد باب الراوية، ألا ترى لما نزل به أمر الجدة ولم يجده فى الكتاب كيف سأل عنه فى السنن، فلما أخبره ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر، ولم يقل: حسبنا كتاب الله كما تقول الخوارج"(٣) .

٢- تثبت عمر بن الخطاب رضى الله عنه، روى الإمام البخارى رضى الله عنه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: كنت فى مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال : ما منعك ؟ قلت: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال : قال رسول الله (ﷺ): "إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع" فقال: والله لتقيمن عليه ببينة، أمنكم أحد سمعه من النبى (ﷺ)؟ فقال أبى بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبى

(٢) أخرجه أبو داود فى الفرائض، باب الجدة "٣/١٢٦٥-٢٨٩٤"، والترمذى فى ميراث الجدة من كتاب الفرائض، "٤/١٧٨-٢١٠١" وقال أبو عيسى: وفى الباب عن بريدة، وهذا أحسن وهو أصح من حديث ابن عيينة. وقال الحافظ فى التلخيص ٣/٨٢: إسناده صحيح.

(٣) السنة قبل التدوين " صـ ١١٣ " نقلاً عن " تذكرة الحفاظ" ١/٣: ٤".

(ﷺ) قال ذلك. فقال عمر لأبى موسى : أما إنى لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله (ﷺ) [١] .

٣- تثبت عثمان بن عفان رضى الله عنه: روى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن بسر بن سعيد قال: أتى عثمان المقاعد فدعا بوضوء، فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا، ويديه ثلاثا ثلاثا، ثم مسح برأسه ورجليه ثلاثا ثلاثا، ثم قال: رأيت رسول الله (ﷺ) هكذا يتوضأ، يا هؤلاء أكذلك ؟ قالوا: نعم، لنفر من أصحاب رسول الله (ﷺ) عنده [٢].

٤- تثبت علي بن أبى طالب كرم الله وجهه، روى الإمام أحمد بن حنبل بإسناده عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله (ﷺ) حديثا نفعنى الله بما شاء منه، وإذا حدثنى غيره استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وإن أبا بكر حدثنى وصدق أبو بكر، أنه سمع النبى (ﷺ) قال: " ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ ويحسن الوضوء ويصلى ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له"[١] . هذا كان عهد الصحابة بسنة رسول الله (ﷺ) فى التثبت عند التحمل والأداء، ولم يكن التابعون وأتباعهم أقل اهتماما منهم بالاحتياط لقبول الأخبار، فكانوا يتثبتون من الراوى بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم، وإن من يتتبع تاريخ الرواة وكيفية تحملهم الحديث الشريف ليدرك تماما جهود التابعين وأتباعهم تلك الجهود التى بذلوها لنقل السنة إلى خلفهم، قيل لمسعر بن كدام : ما أكثر تشكك ؟ قال: تلك محاماة عن اليقين [٢].

---

(١) المصدر السابق "صـ١١٤" نقلاً عن صحيح البخارى، فى الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثا " ٢٨/١١-٦٢٤٥"، ومسلم فى الآداب، باب الاستئذان " ٢٨٨/١٤-٢١٥٣-٣٣".

(٢) المصدر السابق " صـ ١١٦" نقلاً عن مسند أحمد بن حنبل " ٣٧٢/١".

(١) أخرجه أحمد بن حنبل " ١٥٤/١-١٧٤، ١٧٨"، ونحوه فى الكفاية " صـ ٧٨" وتذكرة الحفاظ "١٠/١".

(٢) المحدث الفاصل " صـ ١٣٢".

وقال محدث الديار المصرية يزيد بن أبى حبيب: إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة، فإن عرف فخذه، وإلا فدعه[٣]. وكان كل هذا من باب التثبت والاستيثاق والتأكد مما يسمعون حرصا منهم على حفظ الحديث الشريف [٤].

٥- رابع الأسس التى وضعها الصحب الكرام للرواية عن النبى (ﷺ): إمساك الصحابة رضوان الله عنهم عن التحديث بما يعلو على فهم العامة، يقول النبى (ﷺ): " أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم" [٥] . فليس من المعقول أن يتحدث المتحدث بما هو أعلى على فهم وعقل السامع خاصة بما يتعلق بأمر الدين لئلا يحدث بلبلة بينهم ويشوش على العامة تفكيرهم، فلكل مقام مقال، وعلى المتكلم مراعاة مقتضى الحال، فإذا ما اجتنب المحدث ذلك فقد سلم وأمن من الفتنة، فعلى سبيل المثال: لا يثير المحدث الخلافات فى المسائل الكلامية فى الألوهية والنبوات وما يتعلق بالغيبيات، قال الخطيب البغدادى رحمه الله تعالى: يجتنب المحدث فى أماليه رواية ما لا تحتمله عقول العوام لما لا يؤمن عليهم فيه من دخول الخطأ والأوهام، وأن يشبهوا الله تعالى بخلقه، ويلحقوا به ما يستحيل فى وصفه وذلك نحو أحاديث الصفات التى ظاهرها يقتضى التشبيه والتجسيم وإثبات الجوارح للأزلى القديم، وإن كانت الأحاديث صحاحا ولها فى التأويل طرق ووجوه إلا أن من حقها أن لا تروى إلا لأهلها [١] .

---

(٣) الجرح والتعديل " ١٩/١"

(٤) بتصرف من السنة قبل التدوين " صـ١١٢: ١٢٥" نشأة علوم الحديث وتطورها " صـ٢٧: ٣٠".

(٥) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء "١٩٦/١" وقال: رواه الديلمى بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعا، وقال السيوطى فى اللالىء : فيه ضعيف ومجهول، وقال الحافظ: إسناده ضعيف جداً، وله شاهد ذكره البخارى فى صحيحه موقوفا على علي.

(١) الجامع لأخلاق الراوى " ١٠٧/٢".

وفى ذلك يروى الإمام البخارى بإسناده عن علي بن أبي طالب موقوفا: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله [٢] "، ويقول الإمام أبو حامد الغزالى فى الإحياء: أن يقتصر المعلم بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله أو يخبط عليه عقله اقتداء فى ذلك بسيد البشر (ﷺ) حيث قال: "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم، ونكلمهم على قدر عقولهم[٣] "، وقال عبد الله بن مسعود: " ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة " [٤]، وقال علي وأشار إلى صدره: " إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت له حملة"، وقال عيسى عليه السلام: " لا تعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير، فإن الحكمة خير من الجوهر، ومن كرهها فهو شر من الخنازير"، وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب، فقال السائل: أما سمعت رسول الله (ﷺ)يقول: " من كتم علما مما ينفع الله به فى أمر الناس أمر الدين، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار [١] " فقال: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم [٢] " وأنشد بعضهم قائلا:

أأنثر درراً بين سارحة النعم	فأصبح مخزونا براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره	فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه	وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة	وإلا فمخزون لدى ومكتتم

(٢) أخرجه البخارى فى العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم "١/٢٧٢-١٢٧".

(٣) اتحاف السادة المتقين "٢/٦٥"، السلسلة الضعيفة "١٨٩٤"، ضعيف الجامع " ١/١٩٤-١٣٤٤".

(٤) صحيح مسلم فى المقدمة " ١/٧٠-٥/٥" باب النهى عن الحديث بكل ما سمع.

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد بإسناد ضعيف، فى المقدمة، باب من سئل عن علما فكتمه " ١/١٤٢-٢٦٥".

(٢) سورة النساء، الآية " ٥ ".

فمن منج الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم [٣]

وقد خص النبى (ﷺ) معاذا بحديث ومنعه من التحديث به لئلا يتكل عوام الناس عليه ويتركوا العمل، وقد أخبر به معاذ قبل موته خشية كتمان العلم، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) ومعاذ رديفه على الرحل قال: " يا معاذ بن جبل" قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثا. قال: " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار" قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشرون ؟ قال: " إذاً يتكلوا" [٤].

لذلك أمسك الصحابة عن التحديث بما يكون ذريعة للتقصير والتهاون بسبب قصور النظر، أو يكون سلما لأهل الأهواء والبدع ومن هو على شاكلتهم حتى لا تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير [٥].

رابعا: انتشار الحديث فى عهد الرسول (ﷺ) :

الحديث عن رسول الله (ﷺ) ما هو إلا عبارة عن أقوال النبى (ﷺ) وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية، وكذلك سيره ومغازيه، ومن حكمته تعالى أن تتضمن وتكفل بحفظ دينه ونشره، وما انتشر الدين المتمثل فى " القرآن والسنة " إلا بفضل تعاليمه السامية وأخلاقه الرفيعة، فكان ينساب فى القلوب انسيابا، وترك لكل امرىء حرية الاعتقاد، من هنا انتشر الحديث مع القرآن من أول الأمر بفضل حكمة النبى (ﷺ) وبفضل دعوته إلى الله فى كل زمان ومكان، وكان يتحرى مواسم التجمعات ويقوم فى الناس خطيبا ومفتيا، وواعظا وهاديا، ومبشراً ونذيرا، وكان لهذا الانتشار عدة عوامل كانت سببا فى نشر السنة فى ذلك العهد النبوى نذكرها فيما يلى :

---

(٣) بتصرف من إحياء علوم الدين " ١١٨/١"، بيان وظائف المرشد المعلم، من كتاب العلم.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم "٢٧٢/١-١٢٨".

(٥) الحديث والمحدثون "صـ ٦٥: ٧٤".

١- نشاط الرسول (ﷺ) وجده فى تبليغ دعوته ونشر الإسلام، فلم يترك وسيلة ولا سبيلاً للدعوة إلا سلكها، فعرض نفسه على القبائل، وتحمل الصعاب وصنوف الأذى، واتصل بوفود المواسم وعرض عليهم الإسلام، فلم يدخر جهدا فى تبليغ رسالة ربه عز وجل حتى عز الإسلام وقويت دولته.

٢- طبيعة الإسلام ونظامه الجديد الذى جعل الناس يتساءلون عنه وعن أحكامه وعن رسوله وأهدافه، فكان بعضهم يقبل على رسول الله (ﷺ) فيعلن إسلامه عن سماعه عن الإسلام من أول وهلة ثم ينطلق إلى قومه داعيا إياهم لذلك الدين الجديد.

٣- نشاط أصحاب رسول الله (ﷺ) واندفاعهم فى طلب العلم وحفظه وتبليغه.

٤- أمهات المؤمنين رضوان الله عنهن أجمعين كان لهن الفضل العظيم فى تبليغ الدين ونشر السنة النبوية، خاصة فى بعض الأمور التى يخجل النساء سؤال رسول الله (ﷺ) عنها فيجدون ما يشفى صدورهن عند أزواجه أمهات المؤمنين، وقد اشتهرت السيدة عائشة بعلمها الغزير وحرصها على فهم الأحكام، وعرف المسلمون سمو مكانتها، وكانت محط أنظار طلاب العلم بعد وفاة رسول الله (ﷺ) .

٥- النساء الصحابيات، لا يقل دورهن فى الحفاظ على السنة عن دور الرجال من الصحابة، وكن يحرصن على حضور مجالس النبى (ﷺ) حينما رأين الرجال يغلبهن فى حضور مجالس العلم فطلبن من النبى(ﷺ)أن يخصص لهن يوما يحدثهن فيه فأجابهن إلى مطلبهن وحص لهن يوما يحدثهن بأمور الدين وتعاليم الإسلام.

٦- رسله وبعوثه وولاته، فكانت بعوثه (ﷺ) وولاته خير من يحمل الرسالة ويؤدى الأمانة، ففى السنة السادسة أرسل ستة نفر إلى جهات مختلفة يتكلم كل واحد منهم بلسان القوم الذين بعث إليهم، فأرسل رسله بكتبه إلى قيصر الروم، وإلى أمير بصرى، وإلى الحارث بن أبى شمر أمير

دمشق من قبل هرقل، وإلى المقوقس أمير مصر من قبل هرقل يدعوهم إلى الإسلام، وأرسل ووجه كتبه إلى النجاشى ملك الحبشة، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وأرسل كتبه ورسله إلى عمان واليمامة وغيرها، وكان الرسل يجيبون عما يسألهم عنه الأمراء والملوك ورؤساء القبائل ويبينون لهم الإسلام وغاياته على ضوء ما يزودهم به الرسول (ﷺ) من التوجيه والإرشاد، وكان (ﷺ) يولى على كل قوم قبلوا الإسلام كبيرهم ويمدهم بمن يفقههم ويعلمهم.

وها هو النبى (ﷺ) يقول لمعاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى حينما وجههما إلى اليمن: " بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا [١] " ثم يقول لمعاذ: " إنك ستأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، وأتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[١].

ويقول علي بن أبى طالب رضى الله عنه : " بعثنى رسول الله (ﷺ) إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، إنك تبعثنى إلى قوم هم أسن منى لأقضى بينهم" قال: " اذهب، فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدى قلبك" [٢].

٧- غزوة الفتح – فتح مكة-: ففى السنة الثامنة من الهجرة المباركة توجه النبى (ﷺ) مرة أخرى إلى مكة فى عشرة آلاف مجاهد [٣] فاتحا فتحا

---

(١) أخرجه البخارى فى المغازى، باب بعث ابى موسى ومعاذ إلى اليمن " ٦٥٧/٧- ٤٣٤١، ٤٣٤٢". ومسلم فى الجهاد، باب تأمير الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو، " ٣٩٥/١٢-١٧٣٢، ١٧٣٣".

(١) أخرجه البخارى فى الزكاة، باب وجوب الزكاة" ٣٠٧/٣-١٣٩٥"، ومسلم فى الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام "١٥٩/١-٢٩، ٣٠".

(٢) مسند أحمد بن حنبل " ٧٣/١-حديث ٦٦٦" بتحقيق أحمد شاكر، طبع دار المعارف بالقاهرة.

(٣) سيرة ابن هشام " ١٧/٤ ".

عظيما مؤزراً، وقوض الوثنية، وحطم الأصنام، ثم قام خطيبا فى ألوف المسلمين والمشركين، فعفا عن أعدائه الذين اضطهدوا وآذوه، ثم أعلن كثيرا من الأحكام منها: ألا يقتل مسلم بكافر، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين، ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها، ثم أقبل الناس يبايعون رسول الله (ﷺ) .

فكان فتح مكة فتحا عظيما نقله جموع غفيرة، ونقلت معه خطبة الرسول الكريم إلى الآفاق، كما نقل المسلمون الجدد ما سمعوه من إرشاد وتوجيه إلى أهليهم وذويهم فى مكة وغيرها.

٨- حجة الوداع، فرسول الله (ﷺ) قام فى الناس خطيبا فى عرفات، وقد كان عدد من حضر معه فى هذا العام جمع عظيم من المسلمين بلغ عددهم أربعين ألفا – أو – تسعين ألفا على أحد القولين، بين النبى (ﷺ) جملة هذا الدين متضمنا الجوانب العقدية، والأخلاقية، والمعاملاتية، كيف يتعامل المسلم مع إخوانه المسلمين من أهله وأولاده وزوجته وقرابته وجيرانه، ومع غير المسلمين من أداء الأمانات إلى أهلها، وتحريم الربا والزنا، وتحريم دم المسلمين، إلى غير ذلك، جمعت هذه الخطبة بين جوانبها معظم تعاليم الدين، وكانت من أهم عوامل انتشار السنة بين القبائل العربية، لأن النبى (ﷺ) عقبها بالأمر بالتبليغ قائلا: " ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد، فليبلغ الشاهد منكم الغائب " .

٩- الوفود بعد الفتح الأعظم وحجة الوداع، بعد فتح مكة أقبلت وفود العرب من سائر أطراف الجزيرة العربية يبايعون النبى (ﷺ) وينضمون تحت لواء الإسلام، وتتابعت هذه الوفود وكثرت بعد حجة الوداع، وكان رسول الله (ﷺ) يرحب بالوافدين ويعلمهم الإسلام ويزودهم بنصائحه وإرشاداته، وكان بعضهم يقيم عنده أياما ثم يعودون إلى قبائلهم بما حملوه من جملة هذا الدين الحنيف، مثل: وفد ضمام بن ثعلبة، وعبد القيس، وبنى حنيفة، وطىء، وأزد شنوءة، ورسول ملوك حمير، وهمدان، وتجيب، وثعلبة، وبنى سعد من هذيم، وغير ذلك.

تلك العوامل كانت كافية لإنتشار السنة وتبليغها فى مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، ولم ينتقل الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى إلا بعد انتشار الإسلام فى الجزيرة العربية وساد ربوعها، وملأ القرآن والسنة صدور أهلها، قال تعالى: **{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا }** (١).

كتابة السنة وتدوينها فى عصر الصحابة رضى الله عنهم

وردت عدة أحاديث وآثار تفيد كراهة كتابة الحديث الشريف والنهى عنها، وآثار وأحاديث أخرى تفيد الإباحة فى ذلك والأمر بها، نبين ذلك فيما يلى مع التوفيق بين كلا الرأيين .

أولاً: من نهى عن كتابة السنة النبوية وكره ذلك، استدل بما يلى:

١- روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى (ﷺ) قال: " لا تكتبوا عنى شيئا إلا القرآن، فمن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه " (١).

٢- وروى عنه أيضا أنه قال: إنهم – أي الصحابة – استأذنوا رسول الله (ﷺ) فى أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم (٢).

٣- روى عن أبى هريرة قال: خرج علينا رسول الله (ﷺ) ونحن نكتب الأحاديث فقال: " ما هذا الذى تكتبون ؟ " قلنا: أحاديث نسمعها منك . قال: " كتاب غير كتاب الله ؟ أتدرون ما ضل الأمم قبلكم إلا بما كتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى " (٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية " ٣" . نقلناه بتصرف من كتاب السنة قبل التدوين " صـ٦٨ : ٧٤ ".

(١) أخرجه مسلم فى الزهد، باب " ١٦ " (٢٢٩٨/٤-٣٠٠٤". والدرامى فى المقدمة " ٤٥٠"، وأحمد "١٢/٣، ٢١، ٣٩، ٥٦".

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب العلم، باب كراهية كتاب العلم "٣٨/٥"، والدرامى فى المقدمة " ٤٥١"، تقييد العلم "صـ٣٤".

(٣) تقييد العلم "صـ ٣٤ ".

٤- روى عن مالك بن أنس قال: جاء الزهرى بحديث فلقيته فى بعض الطريق فأخذت بلجامه، فقلت: يا أبا بكر، أعد علي الحديث الذى حدثتناه . قال: وتستعيد الحديث؟ قال: قلت: وما كنت تستعيد الحديث ؟ قال: لا . قلت: ولا تكتب؟ قال: لا.

٥- وعن ابن سيرين قال: لو كنت متخذاً كتابا لاتخذت رسائل النبى (ﷺ).

٦- وروى عن سعيد بن عبد العزيز قال: ما كتبت حديثا قط.

٧- وروى عن ابن عون قال: دعا عبيدة بكتبه فمحاها عند الموت وقال: إنى أخاف أن يليها قوم فلا يضعونها مواضعها.

٨- وروى عن أبى نضرة، قال: قلت لأبى سعيد الخدرى: ألا تكتبنا فإنا لا نحفظ. قال: لا، إنا لا نكتبكم ولن نجعله قرآنا، ولكن احفظوا عنا كما حفظنا نحن عن رسول الله (ﷺ).

٩- وروى عن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى أنه كان يكتب حديث أبيه فرآه أبو موسى فمحاه.

١٠- وروى عن قريش بن أنس قال: قال لي ابن عون: والله ما كتبت حديثا قط. قال ابن عون: قال ابن سيرين: لا والله ما كتبت حديثا قط. قال ابن عون: قال لي ابن سيرين: عن زيد بن ثابت قال: أرادنى مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة أن أكتبه شيئا، فلم أفعل، فجعل سترا بين مجلسه وبين بقية داره، وكان أصحابه يدخلون عليه ويتحدثون فى ذلك الموضع، فأقبل مروان على أصحابه فقال: ما أرانا إلا قد خناه ثم أقبل علي قال: قلت: وما ذاك ؟ قال: إنا أمرنا رجلاً يقعد خلف هذا الستر، فيكتب ما تفتى هؤلاء وما تقول.

١١- وقال الشعبى: ما كتبت سوداء فى بيضاء ولا استعدت حديثا من إنسان.

١٢- وقال مجاهد : يكره أن يكتب العلم فى الكراريس، وروى عن إبراهيم النخعى مثل ذلك وعلل ذلك قائلاً : يشبه المصاحف.

١٣- وروى عن إبراهيم التيمى قال: بلغ ابن مسعود أن عند أناس ناس كتابا يعجبون به، فلم يزل به حتى أتوه فمحاه ثم قال: إنما هلك أهل الكتاب قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وتركوا كتاب ربهم.

١٤- وروى عنه أيضا أنه قال: إن ناسا يسمعون كلامى ثم ينطلقون فيكتبونه وإنى لا أحل لأحد أن يكتب إلا كتاب الله.

١٥- روى عن أبى موسى الأشعرى قال: إن بنى إسرائيل كتبوا كتابا فتبعوه وتركوا التوارة [١].

ثانيا: من أباح الكتابة ورخص فيها، استدل بما يلى:

١- روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: ليس أحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) أكثر حديثا عن النبى (ﷺ) منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب.

٢- وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله (ﷺ)أريد حفظه فنهتنى قريش وقالوا: تكتب كل شىء سمعته من رسول الله (ﷺ) ورسول الله (ﷺ) بشر يتكلم فى الغضب والرضاء. فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ) فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: أكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق.

٣- وروى عنه أيضا أنه أتى رسول الله (ﷺ) فقال: " يا رسول الله، إنى أريد أن أروى من حديثك، فأردت أن أستعين بكتاب يدى مع قلبى إن رأيت ذلك، فقال رسول الله (ﷺ): " إن كان حديثى ثم استعن بيدك مع قلبك ".

٤- وروى عنه أيضا أنه قال: بينما نحن حول رسول الله (ﷺ) نكتب إذ سئل رسول الله (ﷺ): أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أو رومية ؟ فقال النبى (ﷺ): " لا، بل مدينة هرقل أولا ".

---

(٤) ينظر هذه النصوص وتلك الآثار فى المقدمة من سنن الإمام الدارمى، باب من لم ير كتابة الحديث " ١/١٣٠: ١٣٥-٤٥٠: ٤٨٢ ".

٥- وروى عنه أيضا أنه قال: ما يرغبنى فى الحياة إلا الصادقة والوهط، فأما الصادقة: فصحيفة اكتبها من رسول الله (ﷺ)، وأما الوهط: فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها.

٦- وروى عن أنس وعن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله أنهم قالوا: قيدوا هذا العلم بالكتاب.

٧- وروى عن نافع مولى ابن عمر أنه كان يملى علم ابن عمرو يكتب بين يديه.

٨- وسئل أبو أمامة الباهلى عن كتابه العلم؟ فقال: لا بأس بذلك.

٩- وعن سعيد بن جبير قال: كنت أسمع من ابن عمرو ابن عباس الحديث بالليل فأكتبه فى واسطة الرحل حتى أصبح فأكتبه. وقال أيضا: كنت أكتب عند ابن عباس فى صحيفة وأكتب فى نعلى.

١٠- وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أكتب إلي بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله (ﷺ) وبحديث عمر، فإنى خشيت دروس العلم وذهابه.

وكذلك كتب إلى أهل المدينة: أن أنظروا حديث رسول الله (ﷺ) فاكتبوه فإنى خفت دروس العلم وذهاب أهله.

١١- وروى عن أبى هريرة أن رجلاً من الأنصار كان يشهد حديث رسول الله (ﷺ) فلا يحفظه، فيسأل أبا هريرة فيحدثه، ثم شكا قلة حفظه إلى رسول الله (ﷺ) فقال له: " استعن على حفظك بيمينك"[(١)].

١٢- روى عنه أيضا أنه قال: لما فتح الله على رسول الله (ﷺ) مكة قام خطيبا، فقام رجل من أهل اليمن يقال له: أبو شاه. فقال: يا رسول الله اكتبوا لي. فقال: " اكتبوا له" [(٢)].

١٣- وروى عن معاوية بن قرة قال: سمعت أبا إياس يقول: من لم يكتب علمه لم يعد علمه علما [(٣)].

---

(١) تقييد العلم " صـ ٦٥، ٦٦ "، الجامع لأخلاق الراوى " صـ ٥٠".

(٢) جامع بيان العلم وفضله "٧٠/١"، تقييد العلم "صـ ٨٦".

التوفيق بين أدلة النهى وبين أدلة الإباحة

كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير فى كتابة العلم، فكرهها كثيرون منهم واستدلوا بما يفيد كراهة كتابتها، وأباحها أكثرهم واستدلوا بما يفيد إباحتها، ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال الخلاف، وحاول بعضهم التوفيق بين أدلة النهى والكراهة وبين أدلة الجواز والإباحة فانتهوا إلى أربعة أقوال نذكرها فيما يلى:

القول الأول : قال بعضهم: إن حديث أبى سعيد الخدرى موقوف عليه فلا يصلح للاحتجاج به، وهذا القول مردود لثبوت صحة ذلك الحديث عند الإمام مسلم فى صحيحه، ويؤيد صحته ويعضده ما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال: " استأذنت النبى (ﷺ)أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لي [1]".

القول الثانى : أن النهى عن الكتابة إنما كان فى أول الإسلام خشية اختلاط الحديث بالقرآن، فلما كثر عدد السلمين وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة وميزوه عن الحديث زال هذا الخوف عنهم، فنسخ الحكم الذى كان مترتبا عليه وصار الأمر إلى الجواز، وقال الرامهرمزى: أحسب أن النهى عن كتابة الحديث كان فى أول الهجرة حين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن.

والقول بالنسخ أحد المعنيين اللذين فهمها ابن قتيبة من تلك الأخبار: فقال: أحدهما: أن يكون من منسوخ السنة بالسنة كأنه نهى فى أول الأمر أن يكتب قوله، ثم رأى بعد لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ أن تكتب وتقيد، ورأى هذا الرأى كثير من العلماء على أن حديث أبى سعيد " من كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه" منسوخ، وأنه كان فى أول الأمر حين خيف اشتغالهم عن القرآن أو اختلاط القرآن بغيره، وحديث أبى شاه فى أواخر حياة النبى (ﷺ) وكذلك أخبار أبى هريرة وهو متأخر الإسلام عام خيبر سنة "٧هـ" ولو كان حديث أبى سعيد متأخرا عن هذه الأحاديث فى الإذن والجواز لعرف ذلك عن الصحابة يقينا صريحا، وقال بهذا الرأى كثير من المتأخرين.

---

(٣) ينظر هذه الأحاديث والآثار وغيرها فى المقدمة من سنن الإمام الدارمى، باب من رخص فى كتابة العلم " ١/١٣٦ : ١٤٠-٤٨٣: ٥١١ ".

(١) ينظر: تقييد العلم للخطيب البغدادى " صـ ٣٢: ٣٣".

القول الثالث : النهى كان فى حق من وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة، وأن الإذن فى حق من لا يوثق بحفظه كأبى شاه.

القول الرابع: أن يكون النهى عاما وخص بالسماح له لمن كان قارئا كاتبا مجيدا لا يخطىء فى الكتابة ولا يخشى عليه الغلط كعبد الله بن عمرو الذى أمن عليه (ﷺ) هذا فأذن له[٢].

(٢) ما سبق نقلناه بتصرف من السنة قبل التدوين "٣٠٦: ٣٠٩" نقلاً عن : الباعث الحثيث "صـ ١٤٨: ١٤٩"، وفتح المغيث "١٨/٣"، والمحدث الفاصل "صـ ٧١"، توضيح الأفكار "٣٥٤/٣"، تدريب الراوى" ٢٨٧/٢".

الصحف المدونة فى صدر الإسلام

من خلال ما سبق يتضح لنا أن القراءة والكتابة شاعت فى أوساط الصحابة على عكس ما كانوا عليه قبل الإسلام، وكانت حكمة النبى (ﷺ) فى الحرب أن جعل فكاك الأسير الواحد من المشركين تعليم عشرة من رجال المسلمين القراءة والكتابة واللغات الأخرى، وكان الصحابة الأجلاء يمتازون بصفاء قرائحهم ونبوغ أذهانهم، فكانوا على استعداد تام لتلقى كل ينفع الدعوة الإسلامية وهى فى مهدها الأول، فشاعت فيهم القراءة والكتابة، فهذا زيد بن ثابت رضى الله عنه يتعلم لغة اليهود ويتقنها فى أقل من شهر [١]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد من النبوغ فى القراءة والكتابة والحفظ للقرآن والسنة عن ظهر قلب، بل امتد الأمر إلى ما هو أبعد من هذا " إلى الشعر " فهذا ابن عباس ينشده عمر بن ربيعة قصيدة من سبعين بيتا مطلعها :

من آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

فلما عتب عليه نافع بن الأزرق وكان حاضرا ووصف القصيدة بأنها سفه، فأنكر عليه ابن عباس ما قال، فجاء نافع بالدليل على ما قال قائلاً : أما أنشدك:

رأت رجلا إذا ما الشمس عارضت فيجزى وإما بالعشي فيخسر

فقال ابن عباس: ما هكذا قال: إنما قال : فيضحى وإما بالعشى فيخصر. فقال له: أو تحفظ الذى قال؟ قال: والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه، ولو شئت أن أردها لرددتها. قال: فارددها . فأنشده إياها [٢].

فنقول: إن الإذن من النبى (ﷺ) لأصحابه بكتابة السنة بعد النهى عن كتابتها لم يكن الغرض منه جمع السنة بأسرها فى ذلك العهد النبوى، بل الغرض من ذلك هو صيانة السنة والحفاظ عليها من الضياع أو أن يعتريها تصحيف أو تحريف، ولذلك قام الصحابة الذى كانوا يجيدون علم الكتابة بكتابة صحفهم بأيديهم، وأما

(١) أصل الخبر فى صحيح البخارى فى كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام " معلقا"، وأبو داود فى العلم "٣١٧/٣".

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر " ٦٩/١ ".

الذين لم يجيدوا ذلك الفن أنابوا غيرهم فى كتابة ما سمعوه من النبى (ﷺ)، فظهر على إثر ذلك عدة صحف للصحابة الأجلاء، نذكر منها على سبيل المثال ما يلى:

١- اشتهر فى عهد رسول الله (ﷺ) كتاب خطير الشأن، هو ذلك الكتاب الذى أمر رسول الله (ﷺ) كتابه بتدوينه فى السنة الأولى للهجرة، وقد نصت فيه حقوق المسلمين المهاجرين والأنصار وعرب يثرب وموادعة يهودها، وقد تكررت فيه عبارة " أهل الصحيفة" خمس مرات، وجاء فى مقدمته: " هذا كتاب محمد النبى رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب من تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس" ولقد بلغ من شهرتها أنها أصبحت وحدها تقرن بكتاب الله لتواترها وكثرة ما فيها من أحكام الإسلام وكلياته الكبرى، ولعل علي بن أبي طالب لم يقصد سواها حين سئل: هل عندكم كتاب؟ فأجاب : لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم وما فى هذه الصحيفة، فلما قيل له: وما فيها ؟ قال: [١] " العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر" وكانت هذه الأمور كلها مما اشتملت عليه الصحيفة المذكورة [٢].

٢- صحيفة أبى هريرة التى رواها عنه تلميذه " همام بن منبه " وكانت تسمى " الصحيفة الصحيحة " ولهذه الصحيفة مكانة خاصة فى تدوين الحديث،لأنها وصلت إلينا كاملة سالمة كما رواها ودونها همام عن أبى هريرة، وقد عثر على هذه الصحيفة الباحث المحقق الدكتور/ محمد حميد الله فى مخطوطتين متماثلتين فى دمشق وبرلين، وكثير من

(١) العقل: أي المعاقل والديات، والحديث، والحديث عند البخارى فى باب كتابه العلم من كتاب العلم، وباب فكاك الأسير.

(٢) أكثر ما فى هذه الصحيفة يتعلق بالمعاقل والديات، وتراجع فى الوثائق السياسية لحميد الله، رقم "١ ".

أحاديثها مروى فى صحيح البخارى، وجاءت برمتها ماثلة فى مسند الإمام أحمد بن حنبل، وعدد أحاديثها " ١٣٨ " حديثا [١].

٣- الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص، سماها عبد الله بن عمرو بن العاص بهذا الإسم لأنه أخذها من فى رسول الله (ﷺ) مباشرة ليس بينه وبين النبى (ﷺ) أحد، وكانت عزيزة عليه جداً، وكان يقول: ما يرغبنى فى الحياة إلا الصادقة والوهط، فأما الصادقة : فصحيفة كتبتها من رسول الله (ﷺ)، وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص وكان يقوم عليها [٢].

ومن قبل ذلك فقد أذن النبى (ﷺ) لبعض من كان يحسن الكتابة من الصحابة أمثال: عبد الله بن عمرو بن العاص، فكتب عن النبى (ﷺ) حديثا كثيرا، وهى أصدق ما يروى عنه، وقد رآها مجاهد بن جبر عند عبد الله بن عمرو فذهب ليتناولها، فقال له عبد الله: مه يا غلام بنى مخزوم. قال مجاهد: ما كتبت شيئا. قال: هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله (ﷺ) وليس بينى وبينه فيها أحد" [٣]. ولدرجتها ومنزلتها الرفيعة عند عبد الله بن عمرو بن العاص كان يحفظها فى صندوق له حلق خشية عليها من الضياع [٤]، وقد حفظها أهل بلده من بعده، وتضم ألف حديث [٥] " وقد نقل الإمام أحمد بن حنبل محتواها فى

(١) ينظر: علوم الحديث ومصطلحه، د/ صبحى الصالحى، نقلاً عن : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، مخطوطة جـ٨، ورقة ١١٢.
(٢) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب من رخص فى كتابه العلم " ١٣٨/١ – ٤٩٦ ".
(٣) المحدث الفاصل " ٢/٤ " طبقات ابن سعد ١٨٩/١/٧، تقييد العلم " صـ ٨٤ ".
(٤) العلم للمقدسى " صـ ٣٠ "، مسند أحمد بتحقيق شاكر " ١٧١/١٠-٦٦٤٥".
(٥) أسد الغابة لابن الأثير " ٢٣٣/٣ ".

مسنده [٦]، ولها منزلة رفيعة وأهمية علمية عظيمة لأنها وثيقة علمية تاريخية تثبت كتابة الحديث الشريف بين يدى النبى (ﷺ) وبإذنه.

٤- صحيفة جابر بن عبد الله الأنصارى، كان قتادة بن دعامة السدوسى يرفع من قيمة هذه الصحيفة ويقول: لأنا بصحيفة جابر بن عبد الله الأنصارى أحفظ منى لسورة البقرة [١]. وكانت صحيفة جابر مشهورة بين طلاب العلم آنذاك، وكانت له حلقة فى المسجد النبوى يملى فيها على طلابه الحديث، فكتب منهم كثير أمثال: وهب بن منبه، وأبو الزبير، وأبو سفيان طلحة بن نافع، والشعبى، وسليمان اليشكرى، وغيرهم.

٥- صحيفة فاطمة الزهراء رضى الله عنها واشتملت على بعض الأحاديث النبوية التى سمعتها من أبيها (ﷺ) .

٦- صحيفة عمر بن الخطاب رضوان الله عنه، روى نافع عن ابن عمر قال: وجدت فى قائم سيف عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيفة فيها صدقة السوائم [٢].

٧- كتاب أو صحيفة عبد الله بن مسعود، روى عن مسعر عن معن قال: أخرج لي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لي أنه بخط يده [٣].

٨- وكان عند سعد بن عبادة الأنصارى كتاب أو كتب كثيرة فيها طائفة من أحاديث رسول الله (ﷺ)، وقد روى ابن هذا الصحابى من كتب أبيه بعض أعمال رسول الله (ﷺ).

---

(٦) هى فى مسند أحمد بتحقيق شاكر، الجزء التاسع من صـ ٢٣٥ – حديث ٦٤٧٧ – حتى صـ ٥٠ من الجزء الثانى عشر – حديث ٧١٠٣.

(١) الطبقات الكبرى " ٢/٧-١ : ٢ ".

(٢) الكفاية " صـ ٣٥٣ : ٣٥٤ "، توجيه النظر" صـ ٣٤٨ ".

(٣) جامع بيان العلم وفضله " ٧٢/١ ".

ويرى الإمام البخارى أن هذه الصحيفة كانت نسخة من صحيفة عبد الله بن أبى أوفى الذى كان يكتب الأحاديث بيده، وكان الناس يقرءون عليه ما جمعه بخطه[١] .

٩- وكان عند أبى رافع مولى رسول الله (ﷺ) كتاب فيه استفتاح الصلاة، دفعه إلى أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أحد الفقهاء السبعة [٢] .

١٠- وكان عند أسماء بنت عميس كتاب جمعت فيه بعض أحاديثه (ﷺ)[٣] .

١١- وكتب النبى (ﷺ) كتابا لوائل بن حجر لقومه فى حضرموت فيه الخطوط الكبرى للإسلام وبعض أنصبة الزكاة وحد الزنا وتحريم الخمر، وكل مسكر حرام[٤] .

١٢- كما ولى رسول الله (ﷺ) عمرو بن حزم على اليمن وأعطاه كتابا فيه الفرائض والسنن والديات وغير ذلك [٥].

١٣- وكان أبو هريرة يحتفظ بكتب فيها أحاديث عن رسول الله (ﷺ)، قال حسن بن عمرو ابن أمية الضمرى: تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره، قلت: إى قد سمعته منك. فقال: إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى، فأخذ بيدى إلى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله (ﷺ) فوجد ذلك الحديث [٦].

---

(١) ينظر: جامع بيان العلم "٧٢/١"، نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى " صـ ١٨"، علوم الحديث ومصطلحه " صـ١٣".

(٢) الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى "صـ ٣٣٠".

(٣) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى "صـ ١١٨.

(٤) الإصابة لابن حجر " ٣١٢/٦ "، المصباح المضىء لمحمد بن علي الأنصارى " صـ ١١٢ ".

(٥) الإصابة " ٢٩٣/٤" – ترجمة ٥٨٠٥"، فتوح البلدان "صـ ٨١"، الأموال لأبى عبيد " صـ٣٥٨: ٣٥٩".

(٦) جامع بيان العلم وفضله " ٧٤/١".

من هذه الرواية يتضح لنا أن أبا هريرة كانت عنده كتب، مع أنه قد صح عنه أنه قال: ما من أصحاب النبى (ﷺ) أحد أكثر حديثا عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب [1].

قال الحافظ فى الفتح: يمكن الجمع بأنه لم يكن يكتب فى العهد النبوى ثم كتب بعده، وأقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوبا عنده أن يكون بخطه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب فتعين أن يكون المكتوب عنده بخط غيره [2].

مدارس الحديث

بعد انتشار الإسلام فى أرجاء المعمورة من شبه الجزيرة وما حولها بفضل تعاليمه السامية، فلم يكره أحداً على الدخول فيه ولا اعتناقه،بل ترك للمرء حرية الاعتقاد ضمن آيات الكتاب العزيز، فمهمة النبى (ﷺ) وصحابته الكرام آنذاك هى عرض الإسلام على غير أهله بجملته وتفاصيله ثم بعد ذلك يترك للمرء حرية الاعتقاد، فإن دخل فيه فهو من أهله، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم من الحقوق والواجبات، وإذا لم يدخل فيه عاش آمنا بين المسلمين ويؤدى ما عليه ما لم يتعرض للإسلام وأهله بأى نوع من أنواع الأذى، من هنا ساد الإسلام ربوع الأرض ودخل فى معظم وإن شئت فقل فى كل بيت، وأرسل النبى (ﷺ) بعوثه ورسله إلى هل تلك البلاد يعلمونهم مبادئ الدين الإسلامى " أصوله وفروعه "، فعلى سبيل المثال: أرسل النبى (ﷺ) معاذ بن جبل إلى أهل اليمن معلما وهاديا ومبشرا ونذيرا نيابة عن النبى (ﷺ)، وكان من جملة ما قال لمعاذ بن جبل :
" إنك ستأتى قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة

(١) أخرجه البخارى فى العلم، باب كتابة العلم " ١/٢٤٩-١١٣".
(٢) ينظر: فتح البارى: "١/٢٥٠"، وما سبق نقلناه بتصرف من : السنة قبل التدوين " صـ ٣٤٣: ٣٥٧"، علوم الحديث ومصطلحه "صـ ٢٣: ٣٣".

تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[١].

وهكذا تلك كانت وصاياه (ﷺ) لرسله إلى الملوك والأمراء والبلدان، فينطلقون إلى تلك البلاد كالسراج الوضاء محملين بالهدايا المحمدية والمنح الربانية والنفحات الإلهية مع ما منحوا به من ذكاء العقل، ونزاهة الفكر، والنظر الثاقب، وحسن السريرة، وصفاء النية، وبلاغة النطق، وحسن الفهم، وحسن الدعوة، فأسسوا هناك مدارسا وإن شئت فقل: جامعات إسلامية مفتاحها: " من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة[٢] "، ومكتوب عليها: " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين[٣] " وشعارها: " إن الدين عند الإسلام[٤]"، ومن يتبع غير الإسلام فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين[٥] ". قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون [٦]".

من هذا المنطلق انتشر الإسلام المتمثل فى نصوص الكتاب والسنة، وأخذ الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين يستوطنون تلك البلاد يحكمون بشريعة الإسلام، ويدعون الناس إلى هذا الدين الجديد، واسسوا هناك مدارسا وبيوتا للعلم، حمل أهلها الأمانة من بعدهم، وهذه البيوت هى بيوت الله – المساجد – التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه مصداقا لقوله تعالى: **{ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال*رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه**

---

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان " باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام "١٥٩/١ حديث ٢٩، ٣٠".

(٢) أخرجه الحميدى "٣٦٩"، والخطيب فى تاريخ بغداد "٦٤/١٢".

(٣) سورة الأنبياء، الآية " ١٠٧".

(٤) سورة آل عمران، الآية " ١٩ ".

(٥) سورة آل عمران، الآية " ٨٥ ".

(٦) سورة آل عمران الآية " ٦٤ ".

القلوب والأبصار* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب* } [١].

من هذه المدارس :

١- مدرسة الحديث بمكة المكرمة : من أشهر علماء الحديث بمكة المكرمة وأساتذته: معاذ بن جبل، الذى خلفه النبى (ﷺ) فيها بعد فتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة المباركة منها إلى المدينة المنورة، يعلم أهلها الحلال والحرام، ويفقههم فى دين الله تعالى، ويقرئهم كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ونال معاذ تلك المنزلة السامية لما ساد به أهل زمانه من شباب الأنصار علماً وحلما وسخاءً وحضوره المشاهد كلها مع سيد الخلق وحبيب الحق محمد بن عبد الله (ﷺ) يقول الرحمة المهداة : " معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله [٢] "

ويقول أيضا: " خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبى، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبى حزيفة [٣]" . ويليه بعد ذلك الصحابى الجليل ابن عم رسول الله (ﷺ) حبر الأمة وترجمان القرآن " عبد الله بن العباس" الذى كانت له الصدارة بعد أن عاد من البصرة إلى مكة . وكان فى مكة غيرهما من الصحابة أمثال:

---

(١) سورة النور، الأيات " ٣٦، ٣٧، ٣٨.

(٢) رواه ابن عساكر فى مختصر تاريخ دمشق " ٣٦٩/٢٤" وقال الذهبى فى السير " ٢٨٠/٣" إسناده واه.

(٣) رواه البخارى فى فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم "٤٩٩٩"، وأطرافه فى "٣٧٥٨، ٣٧٦٠، ٣٨٠٦، ٣٨٠٨"، ومسلم فى فضائل الصحابة، باب فضائل ابن مسعود " حديث رقم ٢٤٦٤"، وكذلك الترمذى فى مناقب ابن مسعود من كتاب المناقب " حديث رقم ٣٨١٠".

"عتاب وخالد ابنا أسيد، والحكم بن أبى العاص، وعثمان بن أبى طلحة، وغيرهم"[١] .

٢- مدرسة الحديث بالمدينة المنورة بنور الحبيب محمد (ﷺ)، فيثرب – المدينة المنورة – مهجر النبى (ﷺ) وأصحابه رضوان الله عنهم أجمعين، بها أقاموا جميعا فى حياته وبعد مماته، وكانت مقراً للخلافة الراشدة، وأقام بها كبار الصحابة، والمدينة المنورة شهدت الجانب التشريعى الأول فى صدر الإسلام، والتف فى مساجدها المسلمون حول النبى (ﷺ)، شاهدوا حياته الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية، فاستفادوا من كل ذلك أيما استفادة، والمدينة المنورة تعد عاصمة الدولة الإسلامية إلى أوائل خلافه علي بن أبى طالب رضى الله عنه، ومن أشهر الصحابة الذين رسخوا فى العلم وكانت لهم مكانة عظيمة فى الحديث: الخلفاء الأربعة، وأبو هريرة، وعائشة، وابن عمر، وأبو سعيد الخدرى، وزيد بن ثابت.

وتتلمذ على أيديهم كبار التابعين أمثال: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وابن شهاب الزهرى، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وسالم بن عبد الله ابن عمر، ومحمد بن المنكدر، وغيرهم الذين عرفوا بالفقه والتبحر فى علوم الكتاب والسنة[٢].

٣- مدرسة الحديث بالكوفة: نزل الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر وذلك بعد فتح العراق ودخولها الإسلام، ومن كبار الصحابة الذين نزلوها " علي بن أبى طالب، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل"، وكان فيها ستون شيخا من التابعين الذين تتلمذوا على يدى عبد الله بن مسعود، ومن أشهر

---

(١) ينظر: السنة قبل التدوين "صـ ٦٦"، نقلاً عن: معرفة علوم الحديث"ص١٩٣"، وفجر الإسلام "صـ ١٧٤"، لأحمد أمين.

(٢) ينظر: تاريخ دمشق" ٢٨٤/٦"، سير أعلام النبلاء "١٥/١"، تذكرة الحفاظ "٣٠/١"، تاريخ دمشق "٣٢٨/٥".

التابعين بالكوفة: عامر الشعبى، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعى، وأبو إسحاق السبيعى، وعبد الملك بن عمير، وكميل بن زيد النخعى، وغيرهم(١) .

٤- مدرسة الحديث بالبصرة: نزل البصرة عدد كبير من أصحاب النبى (ﷺ) أمثال: "أنس بن مالك إمام الحديث بالبصرة وأبو موسى الأشعرى، وابن عباس، وعلي بن أبى طالب، وعتبة بن غزوان، وعمران بن حصين، وأبو برزة الأسلمى، ومعقل بن يسار، وغيرهم". وأشر كبار التابعين بها : " الحسن البصرى الذى أدرك خمسمائة من الصحابة، ومحمد بن سيرين، وأيوب السختيانى، وبهز بن حكيم، وهشام بن حسان، وعاصم بن سليمان الأحول، وغيرهم (٢).

٥- مدرسة الحديث بالشام : يقول الوليد بن مسلم: " دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله (ﷺ)" وكان يزيد بن أبى سفيان قد كتب إلى عمر بن الخطاب أن يعينه ليفقهوا أهل الشام، فأرسل إليه معاذ بن جبل، وعبادة الصامت، وأبا الدرداء، فتوزعوا فى بلاد الشام مستوطنين بها. ونزل أيضا الشام أبو عبيدة بن الجراح، وبلال بن رباح، وشرحبيل بن حسنة، وخالد بن الوليد، والفضل بن العباس بن عبد المطلب وغيرهم.

تخرج على أيديهم من فقهاء الشام وكبار تابعيها: سالم بن عبد الله المحاربى، وأبو إدريس الخولانى، وأبو سليمان الدارانى، وعمير بن هانىء العنسى الدارانى والأوزاعى إمام أهل الشام، وغيرهم (٣).

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى " ٦/٤"، معرفة علوم الحديث " صـ ١٩١، ٢٤٣ : ٢٤٨".

(٢) ينظر: معرفة علوم الحديث " صـ١٩٢، صـ ٢٤٨".

(٣) ينظر: السنة قبل التدوين "صـ١٦٨: ١٧٠" نقلاً عن " فجر الإسلام "صـ١٨٩"، ومعرفة علوم الحديث صـ ٢٤٢"، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ " صـ ١٣٨"، غوطة دمشق "صـ ١٣٤".

٦- مدرسة الحديث بمصر: بعد الفتح الإسلامى لمصر فى زمن ثانى الخلفاء الراشدين الفاروق عمر بن الخطاب، ونزول الكثير من الصحابة الذين نشروا الإسلام فى كافة ربوعها، حتى دخل أهلها فى الإسلام، وكان ممن نزل مصر من الصحابة: عمرو بن العاص، والزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، والمقداد بن الأسود وعبد الله بن عمرو بن العاص الذى كان له الفضل الكبير فى نشر سنة رسول الله (ﷺ) لكثرة حديثه عن النبى (ﷺ) ولطول عمره بمصر بعد وفاة أبيه، حيث نشر الإسلام هنا، وحدث عنه الكثير من أهلها.

وكان من الصحابة الذين نزلوا مصر أيضا: عقبة بن عامر الجهنى، وخارجة بن حذافة، وعبد الله بن سعد بن أبى السرح، ومحميه بن جزء، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وأبو بصرة الغفارى، وأبو سعد الخير، ومعاذ بن أنس الجهنى، ومعاوية بن حديج، وزياد بن الحارث الصدائى، وغيرهم.

وتخرج على أيديهم من كبار التابعين: يزيد بن أبى حبيب، وعمرو بن الحارث، وخير بن نعيم الحضرمى، وعبد الله بن سليمان الطويل، وعبد الرحمن بن شريح الغافقى، وحيوة بن شريح التجيبى، وغيرهم.

وتتلمذ على يجلا قاضى الديار المصرية ومحدثها يزيد بن أبى حبيب الفقيه " الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة " (١).

٧- مدرسة الحديث بالمغرب والأندلس: عندما تولى عثمان بن عفان الخلافة أذن لقاضى مصر حينئذ عبد الله بن سعد بن أبى السرح بغزو إفريقية سنة " ٢٥ هـ" ثم أمده بجيش كبير من الصحابة على رأسهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، والحسن والحسين، ولقيهم عقبة بن نافع ببرقة، فتابعوا فتح البلاد، ثم خرج لفتح المغرب معاوية بن حديج سنة " ٣٤ هـ" وكان فى غزواته

(١) ينظر: السنة قبل التدوين "صـ ١٧٠: ١٧١" نقلاً عن " تاريخ الإسلام السياسى "٢٣٦/١"، معرفة علوم الحديث" ١٩١، ٢٤١"، فتوح مصر لابن عبد الحكم "صـ ٢٤٨: ٣١٩"، حسن المحاضرة "٧٢/١".

هذه جماعة من المهاجرين والأنصار، ثم ولى عقبة بن نافع المغرب، وكان فى جيشه كثير من الصحابة والتابعين، وهو الذى فتح المغرب الأقصى ووطد أركان الإسلام فى شمال إفريقية(١) .

وكان ممن نزل إفريقية غير هؤلاء : مسعد بن الأسود البلوى، والمسور بن مخرمة، والمقداد بن الأسود، وبلال بن الحارث بن عاصم المزنى، وجبلة بن عمرو بن ثعلبة، وسلمة بن الأكوع.

ودخلها من التابعين خلق كثير منهم: السائب بن عامر بن هشام، وعبد الرحمن ابن الأسود، وعاصم بن عمر بن الخطاب، وعبد الملك بن مروان، وغيرهم.

وأرسل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز عشرةمن التابعين إلى أهل إفريقية يفقهونهم فى دين الله ويعلمونهم الكتاب والسنة منهم: حبان بن أبى جبلة، وإسماعيل بن عبيد الله الأعور، وإسماعيل بن عبيد، وعبد الرحمن بن رافع التنوخى، وسعيد بن مسعود التجيبى (٢).

٨- مدرسة الحديث باليمن: نزلها فى عهد النبى (ﷺ) الصحابيان الجليلان " معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعرى" بأمر رسول الله (ﷺ)، وتتلمذ على أيديهما وأيدى غيرهما من الصحابة الكثير من التابعين الذين بلغوا فى الحديث مبلغا عظيما، وكانوا من حماة هذا العلم على الإطلاق، وهم: عبد الرازق بن همام الصنعانى صاحب " المصنف " الذى يقع فى أحد عشر مجلدا، ويضم بين طياته نحو من خمس وعشرين ألف حديث وأثر، وجمع فيه الكثير والكثير من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين،

(١) المرجع السابق صـ ١٧١: ١٧٣" نقلاً عن " فتوح مصر " صـ ١٩٣"، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى "٦٧/١: ٨٠".

(٢) المرجع السابق صـ١٧١: ١٧٣" نقلاً عن : طبقات علماء إفريقية "صـ ١٩: ٢٤"، إعلام الموقعين "٢٧/١".

ومن هؤلاء التابعين أيضا: معمر بن راشد، وهمام بن منبه، وطاوس وابنه، ووهب بن منبه[1] .

٩- مدرسة الحديث ببخارى: كان بها عيسى بن موسى غنجار، وأحمد بن حفص الفقيه، وعبد الله بن محمد السندى، ومحمد بن سلام البيكندى، وأخيرا: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل المسمى بـ"صحيح البخارى".

(١) المرجع السابق صـ ١٧١: ١٧٣" نقلاً عن: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ "صـ ١٣٩: ١٤٠".

الفصل الثانى

السنة فى القرن الثانى الهجرى

عصر التابعيـن

تمهيـد

إن علم معرفة الصحابة وكذلك علم معرفة التابعين رضى الله عنهم أجمعين أصلان عظيمان، بهما يعرف المرفوع والمرسل والموقوف والمقطوع من الأحاديث، وكما سبق فى باب الصحابة بأن الصحابى هو كل من لقى النبى (ﷺ) ورآه مؤمنا به حال حياته ومات على ذلك، نشير هنا إلى تعريف التابعى فى عرف ومصطلح أهل الحديث بأن التابعى كما عرفه الخطيب البغدادى هو كل من صحب صحابيا، فمن هذا التعريف يستنبط منه: أن من لقى صحابيا ولم يصحبه لا ينال هذا اللقلب، فيشترط لصاحب هذا اللقب أن يصحب الصحابى ولو مرة، فليس اللقاء أو الرؤية شرطا لكون التابعى تابعيا.

وقيل: التابعى من لقى الصحابى وإن لم يصحبه . قال ابن الصلاح، والحاكم، والسيوطى: وهو الأظهر والأقرب إلى الصواب. وقال العراقى: وعليه عمل الأكثرين من أهل الحديث.

ومن التابعين المخضرمون، واحدهم مخضرم: وهو الذى أدرك الجاهلية وزمن النبى (ﷺ)وأسلم ولم يره، ولا صحبة له، وهذا مصطلح أهل الحديث لأنه متردد بين طبقتين لا يدرى من أيهما هو.

ومن أكابر التابعين الفقهاء السبعة من أهل المدينة وهم: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد بن ثابت، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وسليمان ابن يسار الهلالى.

وقال أحمد بن حنبل: ليس أحد أكثر فتوى فى التابعين من الحسن وعطاء، كان عطاء مفتى مكة، والحسن مفتى البصرة.

وقال أبو بكر بن أبى داود: سيدتا التابعين حفصة بنت سيرين، وعمرة بنت عبد الرحمن، وأم الدرداء.

قال البلقينى : أول التابعين موتا: أبو زيد معمر بن زيد، قتل بخراسان. وآخرهم موتا: خلف بن خليفة، توفى سنة ثمانين ومائة[1] .

عدد التابعين: فى حقيقة الأمر أنه لا يستطيع أمرؤ حصر التابعين فى عدد معين كما هو الحال فى الصحابة، ومن حدهم بعدد معين فإن ذلك يكون من باب التقريب الظنى وليس من باب اليقين القطعى، لأن الصحابة كثيرون لا يحويهم كتاب حافظ، وكل من رأى صحابيا فهو تابعى، والصحابة فى حياة رسول الله (ﷺ) وبعد مماته تفرقوا فى كافة الأمصار والأقطار ينشرون رسالة الإسلام، ورأهم الآلاف من علماء المسلمين الذين نالوا شرف " التابعين " والله أعلم.

السنـة فى عصـر التابعيـن

التابعون رضوان الله عنهم كانوا حديث عهد بالصحابة، فقد خالطوهم وجالسوهم و حملوا عنهم كافة أمور الشريعة الإسلامية بجوانبها المتعددة فى " العقائد، والإلهيات، والنبوات، والسمعيات، والعبادات، والمعاملات، ... إلخ " التى حملوها عن الحبيب (ﷺ)، وتحملوا عنهم أحاديث الأمر بكتابة الحديث والنهى عنها بما تقتضيه مصلحة الشريعة وخدمة الدين، فاتفقت آراء الصحابة وكذلك التابعين حول تدوين الحديث، فنجد أن الأسباب التى حملت الصحابة على كراهة الكتابة هى نفسها التى حملتهم على إباحتها بعد كراهتها، فالمتتبع للأخبار والآثار التى

(١) ينظر: تدريب الراوى " ١٣٤/٢ : ١٣٩ "، المقدمة لابن الصلاح " صـ ١٦٥ : ١٦٧"، نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر " صـ ١١٤ : ١١٧"، الباعث الحثيث " ٥٢٠/٢"، التقييد والإيضاح "صـ ٣١٧"، توضيح الأفكار "٤٧١/٢"، فتح المغيث " ١٥٢/٣"، معرفة علوم الحديث "صـ ١٧".

وردت عن التابعين يجد فيها ما يفيد الإذن بتدوين الحديث وما يفيد عدم ذلك، بل نجد آثاراً عن بعضهم تفيد هذا وذاك .

وممن امتنع عن كتابة الحديث وتدوينه من كبار التابعين نحو: عبيدة بن عمرو السلمانى " ٧٢ هـ"، وإبراهيم بن يزيد التيمى "٩٢ هـ"، وجابر بن زيد " ٩٣ هـ"، وإبراهيم النخعى " ٩٦ هـ" فلم يرضى عبيدة أن يكتب عنده أحد ولا يقرأ عليه أحد، وقال لإبراهيم النخعى : " لا تخلدن عنى كتابا " وقبل وفاته دعا بكتبه فأحرقها وقال: " أخشى أن يليها قوم يضعونها غير مواضعها"، وقال إبراهيم النخعى : ما كتبت شيئا قط. وقال عامر الشعبى " ١٠٣ هـ": ما كتبت سوداء فى بيضاء ولا سمعت من رجل حديثا فأردت أن يعيده علي.

وقد ازدادت كراهة التابعين للكتابة عندما اشتهرت آراؤهم الشخصية، فخافوا أن يدونها طلابهم مع الحديث وتحمل عنهم فيدخله الالتباس.

وإنما كان ذلك من التابعين أيضا خشية أن يكتب رأى التابعى مع حديث رسول الله (ﷺ)، فقد جاء رجل إلى سعيد بن المسيب فسأله عن شىء فأملاه عليه، ثم سأله عن رأيه فأجابه، فكتب الرجل، فقال رجل لابن المسيب: أيكتب يا أبا محمد رأيك ؟ فقال سعيد للرجل: ناولنيها، فناوله الصحيفة فحرقها. وقال جابر بن زيد : تكتبون ما عسى أرجع عنه غدا.

من خلال هذه الآثار وتلك الأخبار التى وردت عن بعض التابعين، تفيد عدم الكتابة للآراء الشخصية، وعدم نسبتها لأصحابها فتختلط على غيرهم وتلتبس على أذهانهم ظانين أنها من حديث رسول الله (ﷺ) فينسب إليه ما لم يقله، لذلك كان النهى عن ذلك، مثلهم فى ذلك مثل ما جاء عن الصحابة فى بادئ الأمر لئلا يختلط القرآن بالحديث، أو ينكب الصحابة على الحديث دون القرآن، أو يتكلوا على الكتابة ويتركوا ملكة الحفظ، فلما أمن عليهم ذلك وردت أحاديث الإباحة بتقييد الحديث. وحينما كان عهد التابعين وعندما أمنوا من كتابة الرأى مع الحديث واستطاعوا أن يفرقوا بين النهى عن كتابة الرأى والنهى عن كتابة الرأى مع الحديث، ونرى بعض التابعين ينكبون على الكتابة فى حلقات الصحابة، فهذا سعيد بن جبير يجلس فى حلقة لابن عباس يكتب عنه ما يسمعه

منه من حديث رسول الله (ﷺ) فإذا امتلأت صحفه كتب فى نعله حتى يملأها، ورخص سعيد بن المسيب لعبد الرحمن بن حرملة بالكتابة حينما شكا إليه سوء حفظه، وهذا الشعبى بعد أن كان يقول: ما كتبت سوداء فى بيضاء، نجده يقول: " الكتاب قيد العلم، إذا سمعتم منى شيئا فاكتبوه ولو فى حائط" وقال الضحاك بن مزاحم مثل ذلك. وكان عطاء بن أبى رباح يكتب لنفسه ويأمر ابنه أن يكتب له، وكان طلابه يكتبون بين يديه. وهذا نافع مولى ابن عمر يملى العلم على طلابه وطلابه يكتبون بين يديه. وهذا سائل يسأل قتادة بن دعامة السدوسى عن الكتابة فيجيبه قائلا: " وما يمنعك أن تكتب وأخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب: " قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى " سورة طه، الاية " ٥٢ "[(١)].

خامس الخلفاء وتدوين السنة

كان الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين فى تحرج دائم من كتابة حديث رسول الله (ﷺ) وتدوينه وإفراده فى مؤلفات خاصة به للأسباب التى ذكرناها سابقا مع أن لبعضهم صحف فى الحديث كصحيفة ابن عمرو الصادقة، وصحيفة أبى هريرة، وجابر بن عبد الله، وفاطمة الزهراء، وغيرهم. ولم يزل الأمر على ذلك فى عصرهم وكذلك فى بعض عصر التابعين، ولما أفضت الخلافة إلى من قام بحقها الخليفة الراشد عمر بن العزيز الذى تولى الخلافة فى صفر سنة تسع وتسعين، وكانت وفاته لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة، أمر بكتابة الحديث، حيث كتب إلى أبى بكر بن حزم قائلاً له : " أنظر ما كان من حديث رسول الله (ﷺ)فاكتبه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء. وابن حزم هذا كان نائبا لعمر بن عبد العزيز فى الإمرة والقضاء على المدينة، ولم يكن أحد

(١) نقلناه بتصرف من السنة قبل التدوين "صـ ٣٢١: ٣٢٨" نقلاً عن : جامع بيان العلم " ٦٧/١، ٧٣" " ٣١/٢، ١٤٤"، وسنن الدرامى " ١٢١/١"، والطبقات الكبرى" ١٩٠/١، ٦٣/٦، ١٧٩، ١٨٠"، كتاب العلم لزهير "صـ١٨٧: ١٩٤"، تقييد العلم "صـ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٦٠"، وسنن الدرامى " ١٢١/١"، المحدث الفاصل للرامهرمزى " ٤/٤"، الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى "صـ ٢٦٤".

بالمدينة عنده من علم القضاء ما عندا ابن حزم، وكتب إليه عمر بن عبد العزيز أن يكتب له من العلم ما عند عمرة بنت الرحمن الأنصارية والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وهما من تلاميذ أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق، وكانا أعلم الناس بأحاديثها عن رسول الله (ﷺ). ولقد قام أبو بكر ابن حزم بما عهد إليه عمر بن عبد العزيز، لكن عمر بن عبد العزيز لحق بربه قبل أن يطلعه عامله على نتائج سعيه، حيث قتل مسموما على أيدى بنى أمية، لأنهم اعتقدوا أنه إن امتدت أيامه أخرج الأمر من أيديهم ولم يعهد به لمن يصلح له فعاجلوه .

وأيضا كتب هذا الخليفة الورع التقى النقى إلى أهل الآفاق وإلى عماله فى الأمصار ابمثل ما كتب إلى أبى بكر بن حزم قائلا: " أنظروا إلى حديث رسول الله (ﷺ) فاجمعوه".

أول من دون الحديث بأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى المدنى " ٥٠ هـ : ١٢٤ هـ " أحد الأئمة الأعلام، وعالم أهل الحجاز والشام، ولما قتل الوليد بن يزيد إذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه من علمه، ثم شاع التدوين فى الطبقة التى تلى الزهرى، ولوقوع ذلك فى كثير من البلاد وشيوعه بين الناس أعتبروه الأول، فكانت الأحاديث فى عصر الصحابة وكبار التابعين غيرة مدونة، فلما انتشر العلماء فى الأمصار وشاع الابتداع دونت ممزوجة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين [١].

أسباب جمع عمر بن عبد العزيز للسنة النبوية

عاش أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فى جو علمى، فلم يكن بعيداً عن العلماء، بل كان يكتب بنفسه بعض الأحاديث ويشجع العلماء، وقد رأى أن يحفظ حديث رسول الله (ﷺ) ويجمعه، وربما دعاه إلى ذلك نشاط التابعين آنذاك

(١) بتصرف من : توجيه النظر " ص ٧ : ٨ "، ودفاع عن السنة " صـ ٢٣ "، علوم الحديث ومصطلحه " صـ٤٤".

وإباحتهم للكتابة حين زالت أسباب الكراهة، ومما لا شك فيه أن خشيته من ضياع الحديث دفعته إلى العمل لحفظه.

وهناك سبب قوى دفع أمير المؤمنين إلى تدوين حديث رسول الله (ﷺ) ألا وهو : ظهور الوضع فى حديث النبى (ﷺ) والتقول عليه بسبب الخلافات السياسية والمذهبية، فقد روى ابن أخى شهاب الزهرى عنه قائلاً: " لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا ولا أذنت فى كتابته [١] " وهذا أيضا رأى علماء ذلك العصر غير الزهرى، فإن حرصهم على حديث رسول الله (ﷺ) أن يدرس لا يقل عن حرصهم على سلامته من الكذب والوضع، فهذان العاملان من أقوى العوامل التى حفزت العلماء إلى خدمة السنة وتدوينها.

قال ابن أبى الزناد وأصفا سعة علم ابن شهاب الزهرى: " كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس " [٢].

وإذا كانت المنية قد اخترمت الخليفة الراشد الخامس قبل أن يرى الكتب التى جمعها أبو بكر فإنه لم تفوته أولى ثمار هذه الجهود التى حققها ابن شهاب الزهرى الذى قال: " أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا [٣] " وعلى هذا يحمل ما قاله المؤرخون والعلماء: " أول من دون العلم ابن شهاب[٤] "، وقال ابن شهاب: " لم يدون هذا العلم أحد قبل تدوينى [٥]" .

ويفهم من هذا أن التدوين الرسمى للحديث كان فى عهد عمر بن عبد العزيز، أما تقييد الحديث وضبطه وحفظه فى الصحف والرقاع والعظام مارسه الصحابة فى عهد رسول الله (ﷺ)، ولم ينقطع تدوين الحديث وتقييده بعد وفاته (ﷺ)، بل

(١) ينظر: تقييد العلم للخطيب البغدادى " صـ ١٠٨ ".
(٢) ينظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر " ٧٣/١ ".
(٣) ينظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر " ٧٦/١ ".
(٤) ينظر: المصدر السابق " ٧٦/١"، وحلية الأولياء " ٣٦٣/٣".
(٥) ينظر: الرسالة المستطرفة "صـ ٤".

بقى جنبا إلى جنب مع الحفظ حتى قيض للحديث من يودعه المدونات الكبرى [١].

ولم يكن تدوين الحديث ابتداءً مبوبا على أبواب العلم، ولكنه كان جمعا للأحاديث من غير تبويب، ثم شاع التدوين بعد الزهرى على أنماط مختلفة، كان أكثرها يجمع حديث رسول الله (ﷺ) مختلطا بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين إلى أن قام أئمة الحديث بتآليفهم العظيمة على طريقة المسانيد، ثم على طريقة التبويب [٢].

نشاط حركة التدوين

قام العلماء فى كل مصر من الأمصار بما ندبوا إليه خير قيام، وأقبلوا على جمع الأحاديث وتمحيصها، وتمييز صحيحها من سقيمها، ومقبولها من مردودها، ولم يعد أحد من السلف يتحرج من الكتابة، وبذلك ارتفع الخلاف الذى بينهم أولاً فى كتابة الحديث، واستقر الأمر وانعقد الإجماع على جواز كتابته بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشى عليه النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم [٣].

وقد أخذت الحركة العلمية التدوينية فى الحديث فى الازدهار، وتجرد لهذا العمل الجليل قوم عرفوا بالأمانة والصدق والتحرى والتثبيت، وأخذوا أنفسهم بمجافاة المضاجع ولازموا الدفاتر والمحابر، وحرصوا على لقاء الأشياخ، والأخذ من الأفواه، وسهروا فى سبيل ذلك الليالى الطوال، وطوفوا فى البلدان والأقاليم، وضربوا فى سبيل العلم والرواية على ما كانوا عليه من قلة المؤنة وعسر وسائل السفر والارتحال.

ومازال العلماء يجمعون الأحاديث وينقدون ويمحصون، ويؤلفون الصحاح والمسانيد والسنن حتى جمعت الأحاديث كلها تقريبا فى القرن الثالث الهجرى الذى

---

(١) بتصرف من السنة قبل التدوين " صـ ٣٢٨: ٣٣٢.

(٢) ينظر: مباحث فى علوم الحديث للدكتور/ مناع القطان "صـ ٣٥ ".

(٣) ينظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى " ١٦٥/١ ".

يعتبر العصر الذهبى للأحاديث والسنن والخلاصة: أن السنة لم يطل العهد بعدم تدوينها، وأن التدوين بدأ بصفة خاصة فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم، وأنه قوى وغلظ عوده فى عصر الصحابة وأوائل عصر التابعين، وأخذ صفة العموم فى أواخر عصر التابعين، ولم يزل يقوى ويشتد حتى بلغ عنفوانه واستوى على سوقه فى القرن الثالث الهجرى خاتمة القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية، خيرية الإيمان والعلم والعمل والهدى والفلاح والاستقامة على الجادة.(١)، وبانتهاء هذا القرن كاد ينتهى الجمع والابتكار فى التأليف.

❁❁❁

المصنفون الأوائل فى الحديث

عندما نادى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز فى العلماء بجمع حديث رسول الله (ﷺ) وإفراده عن الآراء الشخصية وفتاوى التابعين وأقوال الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين وخاصة بعد انقسام الناس حينئذ إلى شيعة وخوارج وبدأ أنصار كل فريق يضع ويكذب على رسول الله (ﷺ)، وسرعان ما استجاب العلماء لنداء أمير المؤمنين حينئذ، فكان من أوائل من جمع وصنف :

محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، حيث قال: أمرنا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا، وقد مهدت محاولة ابن شهاب الزهرى الطريق لمن بعده من العلماء، فأول من جمع ذلك بمكة: أبو محمد عبد العزيز بن جريج، وبالمدينة : ابن عروبة – أو – حماد بن سلمة، وبالكوفة: سفيان الثورى، وبالشام : الأوزاعى، وبواسط: هشيم بن بشير، وباليمن: معمر بن راشد، وبالرى: جرير بن عبد الحميد، وبخراسان : عبد الله بن المبارك، وبمصر: عبد الله بن وهب ومحمد بن إدريس الشافعى.

وكان هؤلاء جميعا فى عصر واحد لا يدرى أيهم أسبق. قال الحافظ ابن حجر: إن ما ذكر إنما هو بالنسبة إلى الجمع فى الأبواب، وأما جمع حديث إلى مثله فى باب واحد فقد سبق إليه الشعبى، فقد قال: هذا باب من الطلاق جسيم وساق فيه أحاديث.

(١) دفاع عن السنة لأبى شهبة " ص ٢٤ : ٢٥".

وتلا هؤلاء المذكورين كثير من أهل عصرهم إلى أن رأى بعض الأئمة إفراد أحاديث رسول الله (ﷺ) خاصة وذلك على رأس المائتين، فصنف عبيد الله بن موسى العبسى الكوفى مسندا، وصنف مسدد البصرى مسندا، وصنف أسد بن موسى مسندا، وصنف نعيم بن حماد الخزاعى مسندا، ثم اقتفى الحفاظ آثارهم فصنف الإمام أحمد بن حنبل مسندا، وكذلك إسحاق بن راهويه وعثمان بن أبى شيبة وغيرهم، ولم يزل التأليف فى الحديث متتابعا إلى أن ظهر الإمام البخارى وبرع فى علم الحديث وصار له فيه المنزلة التى ليس فوقها منزلة، وقد قام بجمع ما تبين له صحته وإفراده عن غيره من الضعيف وغيره مبوبا على أبواب الفقه، واقتفى أثره أيضا الإمام مسلم بن الحجاج فألف كتابه المشهور، وقد لقب هذان الكتابان بأنهما أصح ما ورد بعد كتاب الله ﷻ [1]. ثم تلا الصحيحين باقى الكتب الستة وهى: سنن أبى داود " ٢٧٥هـ" والترمذى "٢٧٩هـ"، والنسائى " ٣٠٣هـ"، وابن ماجة القزوينى " ٢٧٣هـ".

وخلاصة القول: أنه فى مطلع القرن الثانى الهجرى تحول علماء الحديث من جمع الحديث وتقييده إلى تصنيفه على الأبواب وضم هذه الأبواب إلى بعضها فى مصنف أو جامع، فلم يكن مطلع هذا القرن مبدأ لتدوين السنة وتقييدها، بل كان مبدأ للتصنيف على الأبواب، وقد ظهرت هذه المصنفات فى أوقات متقاربة، ثم ظهرت المسانيد فالصحاح، وبهذا يكون تدوين الحديث قد مر بمراحل منتظمة حتى انتهى إلينا فى كتب الصحاح والمسانيد [2].

(١) ينظر: توجيه النظر " صـ ٧: ٨"، تدريب الراوى " صـ ٤٠"، الرسالة المستطرفة " صـ ٣٦: ٤٧".

(٢) ينظر: السنة قبل التدوين "صـ ٣٤١: ٣٤٢".

الفصل الثالث

السنة فى القرن الثالث الهجرى

تمهيـد

عد العلماء القرن الثالث الهجرى أزهى عصور السنة وأزهاها، ففيه دونت الكتب الستة التى اعتمدتها الأمة، ولا يخرج عنها حديث من أحاديث الأحكام التى يستعان بها فى الحكم على المسائل الفقهية، ونشطت فى ذلك القرن أيضا رحلة العلماء، وكان اعتمادهم على الحفظ والتدوين معا، فكان النشاط العلمى خلال ذلك القرن قويا، فبرز العلماء والنقاد، وتجلت ثمار هذا النشاط فى تدوين الصحاح، وقد اقتصر دور العلماء فى القرون التالية على الجمع بين كتب السابقين أو اختصارها أو تهذيبها أو إعادة ترتيبها، وهكذا انصب اهتمامهم على الكتب المدونة، وقلت بينهم الرواية الشفهية، لذلك عد أهل العلم رأس سنة ثلاثمائة للهجرة الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من أهل الحديث كما قال ذلك الإمام الذهبى فى مقدمة ميزان الاعتدال [١].

وقد كان للرحلة فى طلب الحديث دورا أساسيا فى ظهور العديد من المؤلفات الحديثية التى سنتحدث عن بعضها قريبا إن شاء الله تعالى من الصحاح، والجوامع، والسنن، والمستخرجات، والمستدركات، والمسانيد، والمصنفات، والأجزاء، وبعض المصنفات التى وضعها أصحابها بأسانيدهم إلى رسول الله (ﷺ) كالزهد، والفتن، والقدر، وعمل اليوم والليلة، إلى غير ذلك، فلم يمضى هذا القرن إلا وقد دونت السنة بأسرها، حتى أطلق المحدثون وغيرهم على هذا القرن مسمى " العصر الذهبى لتدوين السنة المشرفة " .

(١) ينظر: مقدمة موسوعة الحديث الشريف " صـ ١٩ ".

وفيما يلى سنتحدث عن الرحلة فى طلب الحديث على اعتبار أنها الأصل فى رواية الحديث وانتشاره وتدوينه، فاللهم نسأله التوفيق والعون والسداد والمدد، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

الرحلة فى طلب الحديث

لم تكن الرحلة وليدة عهد فى عصر التابعين، وأتباعهم، بل كانت موجودة فى عصر الصحابة، وإن شئت فقل: كانت موجودة أيضا فى عصر الرسول (ﷺ) إنصافا للحق، ولكنها كانت تتخذ شكلاً ولونا خاصا عما كانت عليه بعد ذلك، فحينما بعث الحبيب ونزل عليه الوحى وانقضت الفترة السرية ومع بداية الجهر بالدعوة وهجرة المسلمين الأوائل الهجرتين الأولى والثانية إلى الحبشة، ثم هجرته المباركة من مكة المكرمة – أحب بلاد الله إلى الله ورسوله – إلى يثرب – المدينة المنورة – وكذلك بعوث رسل رسول الله (ﷺ) إلى البقاع لتعليم أهلها جملة دين الإسلام، حينئذ نتج عن هذه العوامل انتشار الإسلام فى أرجاء المعمورة ودخول الكثيرين والكثيرين من أهلها فى الدين الإسلامى واتباع الرسول (ﷺ)، وما أن سمع أهل تلك البلاد بمبعث النبى الخاتم وما جاء به إلا وقد اشتاقوا إلى رؤياه ولقياه فتوالت الوفود على رسول الله (ﷺ)كوفد نجران وعبد القيس وغيرهم ليستمعون إلى القرآن الكريم ويتفهمون تعاليم الإسلام، ثم ينصرفون إلى قومهم معلمين ومبلغين ومبشرين ومنذرين عن لسان حبيب الحق وسيد الخلق (ﷺ).

فكانت الرحلة فى عهده (ﷺ) عامة من أجل معرفة تعاليم الدين الجديد، وأما فى عهد الصحابة والتابعين فقد تمت رحلات كثيرة فى طلب الحديث خاصة، لأن الصحابة تفرقوا فى البلدان، ونقلوا الحديث فى صدورهم، فكان لابد لمن أراد سماع حديث وروايته عن صحابى ما أن يرحل إليه هنا وهناك، يقطع فى سبيل ذلك الأيام والليالى وربما الأشهر الطوال من أجل التثبت من سماع حديث واحد عمن رواه عن رسول الله (ﷺ)، نجد أن ذلك واضحا فيما أثر عن أحاد الصحابة والتابعين.

فهذا الصحابى الجليل أبو الدرداء رضوان الله عنه يقول: " لو أعيتنى آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها عليّ إلا ببرك الغماد لرحلت إليه. وذاك جابر بن عبد الله رضى الله عنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبى (ﷺ) فقال جابر: " ابتعت – أي اشتريت – بعيرا، فشددت إليه رحلى شهرا حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثت إليه أن جابرا بالباب، فرجع الرسول، فقال جابر بن عبد الله ؟ فقلت : نعم، .... الحديث "[1] .

والشاهد من هذا أن جابرا رحل إلى الشام شهراً من أجل سماع حديث فى القصاص قد بلغه عن عبد الله بن أنيس عن النبى (ﷺ) ، فأحب جابر أن يأخذ هذا الحديث عن عبد الله بن أنيس عن النبى (ﷺ)مباشرة بلا واسطة بينه وبين عبد الله بن أنيس.

ومما يروى أيضا فى رحلة الصحابة ما حدث به عطاء بن أبى رباح قال: " خرج أبو أيوب الأنصارى إلى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله (ﷺ) ولم يبق أحد سمعه من رسول الله (ﷺ) غيره وغير عقبة، فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصارى –وهو أمير مصر حينئذ – فأخبره، فعجل عليه، فخرج إليه معانقه... إلخ [2]".

وهذا أحد التابعين وكبارهم – سعيد بن المسيب – يقول: إنى كنت لأرحل الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد [3] "، ويقول أبو قلابة : " لقد أقمت بالمدينة ثلاثا، مالى حاجة إلا رجل عنده حديث واحد تقدم، فأسمعه منه [4]" . ويقول مكحول: " كنت عبدا بمصر لأمرأة من بنى هذيل فأعتقتنى، فما خرجت من مصر وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثم أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق فما خرجت منها وبها علم

(١) ينظر: الأدب المفرد "صـ ٣٣٧"، جامع بيان العلم وفضله " ٩٣/١"، الجامع لأخلاق الراوى "ص ١٦٨".

(٢) معرفة علوم الحديث "صـ ٨"، جامع بيان العلم " ٩٣/١: ٩٤"، الجامع لأخلاق الراوى "صـ ١٦٨".

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع " صـ ١٦٩ ".

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع " ورقة ١٦٩ – وجه ١ ".

إلا حويت عليه فيما أرى، ثم أتيت الشام فغربلتها، ..."[١] ويقول أبو العالية: " كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله (ﷺ) بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم [٢] " وخرج الشعبى فى ثلاثة أحاديث ذكرت له، فقال لعلى: ألقى رجلاً لقى رسول الله (ﷺ) [٣]" ويروى أن مسروقا رحل فى " حرف" وكان مسروق كثير الترحال، ولذلك قال الشعبى: ما علمت أن أحداً من الناس كان أطلب لعلم فى أفق الآفاق من مسروق [٤].

وكان الصحابة رضوان الله عنهم يحبون الرحلة فى طلب العلم ويشجعون عليها، لذلك ورد عن ابن مسعود أنه قال: " لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منى تبلغه الإبل لأتيته"[٥]

ويقول نجم التابعين وكوكبهم عامر الشعبى: " لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع [٦] " .

تختلف أشكال الرحلة وصورها باختلاف الأشخاص والأمصار والأجيال، فكان فى الراحلين من يمشى على رجليه، ومنهم من يرتحل وله خمس عشرة سنة أو عشرون سنة، ومنهم من يوصف بأنه أحد من رحل وتعب أو بأن له رحلة واسعة أو أنه أكثر وأكثر الترحال أو أن له العناية التامة بطلب الحديث والرحلة أو أنه بقى فى الرحلة بضع عشرة سنة، وكان يقال فى أمثال هؤلاء : تضرب إليه آباط المطى أو أكباد المطى أو رحل إليه الناس أو كانت الرحلة إليه فى زمانه [١].

---

(١) أخرجه أبو داود فى الجهاد، باب فيمن قال الخمس قبل النفل "٣/١١٩٥-٢٧٥٠"، وأحمد "٤/١٦٠"،والبيهقى فى الكبرى "٦/٣١٣".

(٢) ينظر: الكفاية فى علم الرواية "صـ ٤٠٢"، الجامع لأخلاق الراوى "صـ ١٦٨".

(٣) ينظر: المحدث الفاصل " صـ ٢٩ ".

(٤) ينظر: جامع بيان العلم وفضله " ١/٩٤"، المحدث الفاصل "صـ ٢٩ ".

(٥) ينظر: الكفاية "صـ ٤٠٢".

(٦) ينظر: جامع بيان العلم وفضله " ١/٩٥ "، الرحلة الحجازية والرياض الأنسية "صـ ١٤".

(١) ينظر: علوم الحديث ومصطلحه للدكتور: صبحى الصالحى "صـ ٥٥ : ٥٦ ".

فوائد الترحـال

يقول العلامة ابن خلدون فى مقدمته : الرحلة فى طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال فى التعليم.

ولعل فى هذه العبارة الموجزة ما يفيد أن الرحلة تزيد فى المعارف، ومنها تكتسب الأخلاق، وتنتحل المذاهب والآراء إما علما وتعليما، وإما محاكاة وتلقينا، فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ وتكوين الشخصية العلمية المستقلة التى يمكن أن تتجدد وتبتكر فى إطار الهدف المنشود والغرض المقصود.

ومن أسمى غايات الرحلة نشر العلم، فليس الغرض منها الاستفادة من الغير فحسب بل الغرض منها إفادة الغير.

وقد تكون الرحلة أيضا للالتقاء بأحد الصالحين الذين ذاع صيتهم وانتشر فى الآفاق كرحيل موسى إلى الخضر، وها هو مالك بن أنس إمام دار الهجرة التى كانت تضرب إليه أكباد الإبل بالمدينة المنورة للتلمذة على يديه، وعلى رأسهم الإمام الشافعى.

كما أن من فوائد الرحلة اكتساب صداقات جديدة قائمة على تبادل الخبرات والثقافات، مثل التقاء الشافعى بابن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة بالعراق.

ومن أعظم فوائد الرحلة فى طلب الحديث: معرفة طرق الحديث الواحد، فيزداد طلاب العلم معرفة لأسباب ورود الحديث حين يلقون من سمع من رسول الله (ﷺ)، أو أفتاه أو قضى له.

ويكفى الرحلة فائدة أن تساعد على نشر الحديث وجمعه وتمحيصه والتثبت فيه، فكان لرحلات الصحابة والتابعين وأتباعهم أثر جليل فى المحافظة على السنة وجمعها وانتشارها، فمما لا شك فيه أن الراوى يرى من يروى عنه ويقف على سيرته، ويسأل أهل بلده عنه، وكثيراً ما كانوا يتشددون فى السؤال عن الراوى حتى يقال لهم أتريدون أن تزوجوه ؟

وللترحال آداب، نذكر بعضها اختصارا :

تزود المرتحل من علماء بلده قبل أن يخرج إلى بلد غير بلده، فإذا فرغ من التلقى من علماء بلده سلك السبيل إلى غيرهم فى الآفاق.

كما أن من آدابها اختيار الأماكن واستشارة علماء بلده فى هذه الأماكن قبل الرحيل إليها والتعرف على علمائها.

ومن آدابها ألا يكون عاصيا بالسفر إلى هذه البلاد، فإن ذلك مما يحرم عليه الرخص التى أباحها الله له من قصر الصلاة وجمعها والفطر بدلاً من الصوم وغير ذلك.(١)

أهداف الرحلة عند المحدثين

١- تحصيل الحديث، وهذا من أهم أسباب الرحلة خصوصا فى العهود الأولى للإسلام، ومنه جاءت رحلات الصحابة والتابعين وتفرقهم فى الأمصار، وقد كان الخلفاء رضى الله عنهم يرسلونهم إلى البلاد دعاة ومعلمين كابن مسعود فى العراق وأبى الدرداء فى الشام.

٢- التثبت من الحديث، وهو مقصد الصحابة رضى الله عنهم فى رحلاتهم والتابعين، وقد يكون عند المحدث أحاديث يرويها فإذا رحل سمع أحاديثه بأسانيد تلتقى مع إسناده وتتفق مع رواياته أو معناها فيطمئن المحدث ويتقوى الحديث عنده إن كان فيه ضعف بتعدد الطرق أو يزداد صحة إن كان من قبل صحيحا أو يسقط حديثا كان يظن قبل رحلته صحيحا.

٣- طلب العلو فى السند، ومعنى العلو: قلة الوسائط فى سند الحديث مع اتصال السند، وكيفية حصول العلو: أن يسمع المحدث حديثا من راو عن شيخ موجود فيذهب المحدث إلى الشيخ ويسمعه منه مشافهة فيقل بذلك عدد الوسائط فى السند.

(١) ينظر: مقدمة ابن خلدون "صـ ٦٣٢"، مقدمة لسان الميزان، تحقيق الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود "١/١٤: ١٥".

٤- البحث عن أحوال الرواة، إن معرفة أداء الراوى للحديث هو المقصد الأسمى الذى عليه مدار هذا العلم، ومن أجله بذلت كل الجهود، ووضع قواعد النقد، فكان لابد من تقصى أحوال الرواة وإخبارهم حتى يتميز المقبول من المردود.

٥- مذاكرة العلماء فى نقد الأحاديث وعللها، وهو فن جميل يحتاج إلى عمق نظر وتقصى الأسانيد والروايات، وذلك لا يتم إلا بالمجالسة والمدارسة، ولقاء أساتذة هذا الفن .

قال الخطيب البغدادى: لو كان المتصل والمرسل واحداً لما ارتحل كتبة الحديث، ولما تكلفوا مشقة الإسفار وشد الرحال إلى ما بعد الأمصار والأقطار للقاء العلماء والسماع منهم [١].

من خلال ما سبق من بذل المحدثين أنفسهم وأموالهم وأولادهم والتضحية بكل ما يمتلكون فى سبيل الرحلة لتحصيل وطلب الحديث من منابعه وشيوخه الذين أخذوا الحديث عن رسول الله (ﷺ)، ليحصل لهم شرف القرب من رسول الله (ﷺ)، لأن المحدثين القدامى يعتبرون علو الإسناد وقربه من رسول الله(ﷺ) قربه منه (ﷺ) وتلك منزلة لا ينالها أي أحد، وقام العلماء المحدثون بتدوين السنة فى هذا القرن عن سابقيه، وترتب على ذلك عدة مميزات، ألا وهى :

١- قام المحدثون فى هذا القرن بتدوين حديث رسول الله (ﷺ) المرفوع فى مؤلفاتهم وإفراده عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

٢- أصحاب هذا القرن رووا تلك الأحاديث بسماعهم لها من شيوخهم عن شيوخهم إلى رسول الله (ﷺ)، ولم يرووا عن طريق الإجازة أو الوجادة أو المناولة أو غير ذلك من صور تحمل الحديث عن الشيوخ.

٣- علماء هذا القرن جمعوا بين التصنيف فى الحديث وبين النقد والدراية، وذلك بالتمييز بين صحيح الأحاديث، وبين ضعيفها، وبين الراوى المجرح وبين المعدل، فقاموا بدراسة الأسانيد والمتون وجمع الطرق

(١) بتمامه من مقدمة لسان الميزان " ١٣/١ : ١٤ ".

والروايات للحديث الواحد حتى توصلوا إلى الحكم القاطع بصحة ما ألفوه ورووه.

٤- تميز أئمة هذا القرن أيضا بالاجتهاد، فمنهم من اجتهد فى فقه الحديث واستنباط المعانى الفقهية الدقيقة منه كما فعل الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحيهما، ومنهم من اجتهد فى علل الحديث كما فعل تلميذ الإمام البخارى الإمام الترمذى، رحمه الله تعالى [١].

أنواع المؤلفات الحديثية فى القرن الثالث الهجرى

المحدثون رحمهم الله عز وجل اختلفت مسمياتهم لمصنفاتهم فى السنة النبوية، ولكل وجهة، وفيما يلى سنذكر ماهيات هذه المصنفات الحديثية من وجهة نظر المحدثين، فنقول: وبالله التوفيق.

١- الجوامع : جمع جامع، والجوامع من كتب الحديث تشتمل على جميع أبواب الحديث التى اصطلحوا على أنها ثمانية: باب العقائد، وباب الأحكام، وباب الرقاق، باب آداب الطعام والشراب، باب التفسير والتاريخ والسير، باب السفر والقيام والقعود ويسمى " باب الشمائل"، باب الفتن، وأخيرا باب المناقب والمثالب. فالكتاب المشتمل على هذه الأبواب الثمانية يسمى جامعا.

أشهر الجوامع : الجامع الصحيح للبخارى، والجامع الصحيح لمسلم، وجامع عبد الرازق، وجامع الثورى، وجامع ابن عيينة، وجامع معمر بن راشد، وجامع الترمذى.

٢- الصحاح : وتشمل الكتب الستة " للبخارى، ومسلم، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة "، وسميت الكتب الستة بالصحاح على سبيل التغليب، وإلا فإن كتب السنن الأربعة دون الصحيحين منزلة وأقل منها ضبطا، ولكل من أصحاب الكتب الستة ميزة يعرف بها، فمن أراد

(١) ينظر: أوائل كتاب " تحفة الطالبين فى مناهج المحدثين " أ.د/ توفيق أحمد سالمان. أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالمنوفية.

التفقه فعليه بصحيح البخارى، ومن أراد التعليقات فعليه بصحيح مسلم، ومن رغب فى زيادة معلوماته فى فن التحديث عليه بجامع الترمذى، ومن قصد إلى حصر أحاديث الأحكام فبغيته لدى أبى داود، ومن كان يعنيه حسن التبويب فى الفقه فعليه بابن ماجه، أما الإمام النسائى فقد توافرت له أكثر هذه المزايا [١].

٣- السنن : هى الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية، وتشتمل على الأحاديث المرفوعة فقط، وليس فيها شىء من الموقوف أو المقطوع، لأن الموقوف والمقطوع لا يسمى سنة فى اصطلاحهم ويسمى حديثا.

قال الكتانى فى الرسالة المستطرفة: " ومنها كتب تعرف بالسنن وهى فى اصطلاحهم: الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة، إلى آخرها، وليس فيها شىء من الموقوف لأن الموقوف فى اصطلاحهم لا يسمى سنة ويسمى حديثا.

أشهر كتب السنن :

- سنن أبى داود السجستانى " ت ٢٧٥ هـ" .
- سنن النسائى " ت ٣٠٣ هـ".
- سنن ابن ماجة القزوينى " ت ٢٧٥ هـ".
- سنن محمد بن إدريس الشافعى " ت ٢٠٤ هـ".
- سنن أحمد بن الحسين البيهقى " ت ٤٥٨ هـ".
- سنن علي بن عمر الدراقطنى " ت ٣٨٥ هـ".
- سنن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى " ت ٢٥٥ هـ "[١] .

(١) ينظر: علوم الحديث ومصطلحه " صـ ١١٩ ".

(١) أصول التخريج ودراسة الأسانيد، د/ محمود الطحان "صـ ١١٥ : ١١٦ ".

٤– المسانيد، واحدها : مسند، ويجمع على مساند ومسانيد، ومعناها : ضم شيء إلى شيء ليقوى به ويعرف به وينسب إليه. واصطلاحا: هى الكتب الحديثية التى جمعها أصحابها ورتبوها على مسانيد الصحابة دون التقيد بالوحدة الموضوعية، فالغرض منها: جمع مرويات كل صحابى على حدة، والمسانيد كثيرة جداً تربو على المائة مسند، ذكر الكتانى فى الرسالة المستطرقة اثنتين وثمانين مسنداً، ثم قال بعد ذلك: " والمسانيد كثيرة سوى ما ذكرنا " (٢).

كيفية ترتيب المسانيد

المصنفون على طريقة المسانيد اختلفوا فى ترتيب أسماء الصحابة داخل مسانيدهم، فمنهم من رتبهم على ترتيب حروف المعجم، ومنهم من رتبهم على حسب السبق فى الدخول فى الإسلام، أو القبائل، أو البلدان، وغير ذلك، وهناك كتب تسمى بالمسانيد ولكنها ليست على طريقة المسانيد، بل هى على طريقة الكتب والأبواب الفقهية، وإنما سميت بالمسانيد على اعتبار أن أحاديثها مرفوعة ومسندة منهم إلى رسول الله (ﷺ)، نحو " مسند الإمام محمد بن إدريس الشافعى "ت ٢٠٤هـ" ومسند بقى بن مخلد الأندلسى "ت٢٧٦هـ".

أشهر كتب المسانيد :

- مسند الإمام أحمد بن حنبل " ت ٢٤١ هـ".
- مسند أبى بكر عبد الله بن الزبير الحميدى " ت ٢١٩ هـ".
- مسند أبى داود سليمان بن داود الطيالسى " ت ٢٠٤ هـ".
- مسند عبد بن حميد " ت ٢٤٩ هـ".
- مسند أبى يعلى الموصلى " ت ٣٠٧ هـ".
- مسند أسد بن موسى الأموى "ت ٢١٢ هـ".
- مسند مسدد بن مسرهد "ت ٢٢٨ هـ".
- مسند أبى بكر أحمد بن عمرو البزار " ت ٢٩٩ هـ".
- مسند الحارث بن محمد بن أبى أسامة التميمى "ت ٢٨٢ هـ".

(٢) الرسالة المستطرفة للكتانى "صـ ٧٤ ".

وأشهر تلك المسانيد على الإطلاق مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى رحمه الله تعالى " تـ ٢٤١ هـ"، ويشمل ثمانية وعشرين ألفا وأربعمائة وأربعة وستين حديثا، انتقاه من نحو ألف ألف حديث، ألف الحافظ ابن حجر كتابه " القول المسدد فى الذب عن المسند " رد فيه على من زعم أن فى المسند أحاديث موضوعه.

٥- المصنفات : جمع (مصنف) وهو فى اصطلاح المحدثين الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية، والمشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، أي: فيه الأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة، وفتاوى التابعين، وتابعيهم أحيانا .

الفرق بين المصنف والسنن :

الفرق بين " المصنف " و" السنن " أن المصنف يشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، على حين أن السنن لا تشتمل على غير الأحاديث المرفوعة إلا نادرا لأن الأحاديث الموقوفة والمقطوعة لا تسمى فى اصطلاحهم سننا .

أشهر كتب المصنفات :

- المصنف لأبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة الكوفى " تـ ٢٣٥ هـ ".
- المصنف لأبى عبد الرازق بن همام الصنعانى " تـ ٢١١ هـ " .
- المصنف لبقى بن مخلد القرطبى " تـ ٢٧٦ هـ ".
- المصنف لوكيع بن الجراح " تـ ١٩٦ هـ " .

وبهذا نكون قد وصلنا بحمد الله تعالى إلى نهاية هذا البحث الذى من خلاله قد تعرفنا على تاريخ السنة وكيفية تدوينها مع عناية الصحابة والتابعين ومن بعدهم بها مع ذكر ما ترتب على ذلك من ظهور العديد من الصحف فى عصر الصحابة، ومدارس الحديث فى عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وكذلك ظهور جميع أنواع المصنفات الحديثية فى شتى علوم السنة التى ظهرت فى هذه القرون التى شهد لها النبى (ﷺ) بالخيرية حتى اختتمت بالقرن الثالث الهجرى الذى كان يسمى بالعصر الذهبى لتدوين السنة النبوية، على أمل أن

نلتقى مع السنة وتاريخها من القرن الرابع الهجرى إلى عصرنا الحاضر إن قدر الله لنا البقاء إن شاء الله تعالى **{ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا*إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا}**.[1]

(١) الآيتان " ٢٣، ٢٤" من سورة الكهف.

الخاتمـــة

إن الحمد لله، نحمده سبحانه ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد : فهذه أهم النتائج والتوصيات التى توصلت إليها من خلال هذا البحث.:

١- فإن السنة النبوية هى ثانى مصادر الشريعة الإسلامية، تلقاها الحبيب(ﷺ) عن ربه عز وجل، واجبة الاتباع والانقياد كالقرآن الكريم تماما بتمام، قال تعالى **{وما ينطق عن الهوى*إن هو إلا وحى يوحى*علمه شديد القوى}**.(١)

٢- السنة النبوية تلقاها الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين مباشرة عن الحبيب(ﷺ)، ودونت بعضها فى عصره(ﷺ) كما علمنا من أدلة الأمر والنهى عن الكتابة والتوفيق بينهما وماذا نتج عنها، إلى أن أخذت شكلها النهائى فى التدوين الرسمى فى القرن الثالث الهجرى الذى ظهرت فيه أنواع المصنفات الحديثية من الجوامع والسنن والمسانيد والمصنفات وغير ذلك، حتى لقب هذا العصر بـ " العصر الذهبى للسنة النبوية".

٣- اهتمام جماعة الأمة الإسلامية بالسنة النبوية من لدن الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين إلى عصرنا الحاضر، تنفيذا لوعد الله سبحانه وتعالى القائل **{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}**.(٢)

---

(١) سورة النجم، الآيات " ٣ : ٥".

(٢) سورة الحجر، الآية " ٩".

٤- السنة النبوية واجبة الاتباع والانقياد والعمل بكل ما جاء بها جملة وتفصيلاً بالإسناد المأمون المتصل بالرواة الثقات العدول إلى الرسول(ﷺ)، وفى هذا رد على الجماعة أو الفئة الباغية الضالة التى أطلقت على نفسها مسمى " القرآنيون" والذين يريدون رد السنة وعدم العمل بكل ما جاء فيها جملة وتفصيلا مع الاكتفاء بالقرآن الكريم وحده، لأن الله تعالى قال: **{ما فرطنا فى الكتاب من شىء}**[١] وهؤلاء ما هم إلا فئة باغية مستأجرة لتقويض الدين وليست فكرتهم هذه وليدة عهد بهم، بل سبقهم إلى ذلك غيرهم، ولكن أنى لهم ذلك **{يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون}**.[٢]

إذاً: القرآن والسنة شىء واحد متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر بحال ما، وكل منهما مكمل للآخر، فالقرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى، والسنة هى ثانى مصادره، جاءت لتوضح مشكله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه، وتبين مبهمه، وغير ذلك، قال تعالى: **{وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}**.[٣] وقال(ﷺ): " ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يقول: عليكم بهذا الكتاب، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه"[٤].

والآيات والأحاديث الواردة فى وجوب اتباع النبى(ﷺ) كثيرة جداً، أوردنا بعضها فى هذا البحث مما يغنى عن إعادته هنا مجانبة للتكرار.

---

(١) سورة الأنعام، الآية "٣٨".

(٢) سورة التوبة، الآية " ٣٢".

(٣) سورة النحل، الآية" ٤٤".

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب السنن، باب لزوم السنة " ٤/١٩٧٢-٤٦٠٤" قال الخطابى فى معامل السنن : فى الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء كان حجة بنفسه. وفى قوله: " ألا يوشك رجل شبعان" كناية عن البلادة وسوء الفهم.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصا متقبلا، وأن ينفع به، وأن يوفقنا للعمل الصالح الذى يرضاه، وأن يرزقنا فهم كتابه وسنة نبيه(ﷺ)وتدبر معانيهما والعمل بما فيهما، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د/ محمد محمود سليمان العجوز
مدرس الحديث وعلومه بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون
جامعة الأزهر

مراجـــع البحث

١- القرآن الكريم .
٢- الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى. ط/ دار المعارف–القاهرة " ١٣٣٢هـ–١٩١٤م".
٣- الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى "١٣٤٥هـ" طبعة الخانجى.
٤- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر، طبع/ مصطفى محمد بالقاهرة "١٣٥٨هـ–١٩٣٩م".
٥- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر، طبع مصر فى (٨) مجلدات سنة ١٣٢٣هـ.
٦- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى، طبع دمشق " ١٣٤٩هـ".
٧- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضى عياض، طبع دار التراث "١٣٨٩هـ/١٩٧٠م".
٨- الأدب المفرد للبخارى، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة "١٣٧٩هـ".
٩- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، مطبعة دار الكتب المصرية "١٩٣٦م".
١٠- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث " للحافظ ابن كثير" شرح أحمد شاكر، ط/ محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة، ط/ الثانية "١٣٧٠هـ–١٩٥١م".
١١- البداية والنهاية لابن كثير، مطبعة السعادة بالقاهرة "١٣٥١هـ–١٩٣٢م".
١٢- التاريخ الكبير للبخارى، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت.
١٣- الثقات لابن حبان، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، " ١٤٠٥–١٩٨٤م".
١٤- الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى، مصورة دار الكتب المصرية.
١٥- الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى، ط/ دار الفكر – الطبعة الأولى " ١٣٧٣هـ–١٩٥٣م".
١٦- الحديث والمحدثون لمحمد محمد أبو زهو، مطبعة مصر بالقاهرة، الأولى "١٣٧٨هـ–١٩٥٨م".
١٧- الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير للصنعانى، طبع مصر ١٣٤٧هـ.
١٨- السنة لمحمد بن نصر المروزى، مؤسسة الكتب الثقافية "١٤٠٨هـ–١٩٨٨م".
١٩- السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة بالقاهرة.
٢٠- السنن الكبرى للبيهقى، ط/ دار المعرفة بيروت "١٤١٣هـ–١٩٩٢م.
٢١- الطبقات الكبرى لابن سعد، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، " ١٤١٠–١٩٩٠م".

٢٢-الفتوحات الإلهية، حاشية على تفسير الجلالين للشيخ الجمل، ط. عيسى الحلبى بالقاهرة.
٢٣-الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى، ط/ دار ابن الجوزى بالسعودية.
٢٤-الكفاية فى علم الرواية للخطيب، طبع بالهند "١٣٥٧هـ".
٢٥-المحدث الفاصل بين الراوى والواعى للرامهرمزى، مخطوط دار الكتب المصرية.
٢٦-المدخل إلى السنة النبوية للدكتور/ عبد المهدى عبد القادر، ط/ دار الاعتصام "١٤١٩هـ-١٩٩٨م".
٢٧-المستصفى من علم الأصول للغزالى، مكتبة ابن الجوزى.
٢٨-المصنف لابن أبى شيبة، ط/ الدار السلفية بالهند.
٢٩-المصنف لعبد الرزاق تحقيق / الأعظمى، ط/ المكتب الإسلامى "١٣٩٠هـ-١٩٧٠م".
٣٠-المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى، مكتبة بريل فى مدينة ليدن " ١٩٣٦م".
٣١-النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير، تحقيق الطناحى والزاوى، طبع عيسى الحلبى "١٣٨٣هـ-١٩٦٣م".
٣٢-الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، ط/ دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الرابعة "١٤١٩هـ -١٩٩٩م".
٣٣-إرشاد الفحول للشوكانى، ط/ دار الفكر.
٣٤-أسد الغابة لابن الأثير، طبع القاهرة "١٢٨٦م".
٣٥-بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.
٣٦-تاج العروس للزبيدى، المطبعة الخيرية بمصر " ١٣٠٦هـ".
٣٧-تاريخ السنة للدكتور/ أيمن سليمان عطية، مدرس الحديث بكلية أصول الدين بالزقازيق.
٣٨-تاريخ بغداد للخطيب البغدادى، ط/دار الكتب العلمية بيروت.
٣٩-تاريخ دمشق لابن عساكر، مخطوط / دار الكتب العلمية.
٤٠-تدريب الراوى للسيوطى، ط/ دار الكتب العلمية، ط/ الأولى "١٤١٧/١٩٩٦م".
٤١-تفسير ابن كثير، ط/ دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى " ١٤٠٨/١٩٨٨م".
٤٢-توجيه النظر إلى أصول الأثر للجزائرى، ط/ دار المعرفة، بيروت.
٤٣-توضيح الأفكار للصنعانى، ط/ دار الكتب العلمية بيروت.
٤٤-جامع بيان العلم وفضله، طبع بمصر، إدارة المطبعة المنيرية.
٤٥-حسن المحاضرة للسيوطى، المطبعة الشرفية "١٣٢٧هـ".
٤٦-حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى، طبع بمصر "١٣٥١هـ-١٩٣٢م".

٤٧-سنن أبى داود السجستانى، ط/ دار الحديث "١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م".
٤٨-سنن الترمذى، ط/ دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى "١٤١٩هـ-١٩٩٩م".
٤٩-سنن النسائى، ط/ دار الفكر -بيروت- " ١٤١٩هـ-١٩٩٩م".
٥٠-سنن ابن ماجه، ط/دار الحديث - بالقاهرة-الطبعة الأولى " ١٤١٩هـ-١٩٩٩م".
٥١-سنن الدارمى، ط/ دار الريان للتراث، الطبعة الأولى "١٤٠٧هـ-١٩٨٧م".
٥٢-سير أعلام النبلاء للذهبى، ط/ دار الفكر، الطبعة الأولى "١٤١٧هـ-١٩٩٧م".
٥٣-شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى، مخطوط دار الكتب المصرية.
٥٤-قواعد التحديث لجمال الدين القاسى، طبع بدمشق "سنة ١٣٥٢هـ-١٩٣٥م".
٥٥-مسند أحمد بن حنبل، ط/ المكتب الإسلامى، الطبعة الخامسة "١٤٠٥هـ-١٩٨٥م".
٥٦-المعجم الكبير للطبرانى، مطبعة الزهراء الحديثة بالعراق "١٤٠٥هـ-١٩٨٥م".

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه
ومنه وكرمه
والحمد لله رب العالمين